الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعلم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية – أدرار –

الكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإنسانية القسم: العلوم الإنسانية

الشعبة: التاريخ التخصص: إفريقيا جنوب الصحراء

الرقم التسلسلي: الرمز:

بلاد السودان من خلال كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي

مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة الماستر في تاريخ افريقيا جنوب الصحراء

مقدمة من طرف الطالبين:

- داداو عبد الرحمن
- علوي عبد المجيد

إشراف الدكتور:

بوتدارة سالم

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
عبد الرحمن بعثمان	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة أدرار
سالم بوتدارة	أستاذ محاضر أ	مشرفاً ومقرراً	جامعة أدرار
أحمد جلايلي	أستاذ محاضر أ	مناقشاً	جامعة أدرار

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2020-2021م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République algérienne populaire et démocratique

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE AHMED DRAYA - ADRAR

BIBLIOTHÈQUE CENTRALE

Service de recherche bibliographique

N°.....B.C/S.R.B//U.A/2021

جامعة احمد دراية - ادرار

المكتبـــة المركـــزية

مصلحة البحث الببليوغرافي

الرقم.....م .م/م.ب.ب /ج.أ/2021

شهادة الترخيص بالإيداع

انا الأستاذ(ة): سالم يوتداوة.

المشرف مذكرة الماستر.

الموسومة بـــ : بلاد السودان من خلال كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي.

من إنجاز الطالب(ة): عبد الرحمن داداو.

و الطالب(ة): عبد المجيد علوي.

كلية : العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية.

القسم : العلوم الإنسانية.

التخصص: إفريقيا جنوب الصحراء.

تاريخ تقييم / مناقشة: الأحد 13 جوان 2021 التوقيت على 11 صباحا.

أشهد ان الطلبة قد قاموا بالتعديلات والتصحيحات المطلوبة من طرف لجنة التقييم / المناقشة، وان المطابقة بين النسخة الورقية والإلكترونية استوفت جميع شروطها.

وبإمكانهم إيداع النسخ الورقية (02) والاليكترونية (PDF).

- **امضاء المشرف:**

ادرار في: 29/06/2021

مساعد رئيس القسم:

جامعة أدرار

ملاحظة :لاتقبل أي شهادة بدون التوقيع والمصادقة.

إهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه ومن دعا بدعوته وسار على سنته الى يوم الدين

وبعد:

الى من قال فيهم المولى عز وجل (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمهُمَا كَمَا رَبَّيانِي صَغِيراً) الآية (24) سورة الإسراء

إلى أحب الناس لي بعد حب الله عز وجل، إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما

أهدي ثمرة جهدي إلى نهر العطاء، ورمز المحبة والحنان، إلى التي ملـت الدنيا فرحا وسعادة إليك يا أغلى من في الوجود، أمي الحبيبة.

إلى الذي أنار دربي، وعلمني معنى الأمانة والصدق، ووجهني إلى درب العلم والمعرفة، إلى الذي علمني كيف يكون الصبر طريق النجاح، أبي الغالي.

إلى إخوتي وأخواتي، الذين كانوا سندي خلال مشواري الدراسي، وإلى أحبتي ثلاثة عبد الرحيم وأيوب وغفران.

كما أهدي كذلك عملي هذا إلى جميع الأصدقاء والزملاء

عبد الرحمن

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الوالدين الكريمين أذامهما الله طول العمر اللذان أضاءا لي الطريق وكانا شمعتي التي أنارت لي دربي إلى من سهرت علي الليالي وغمرتني بحنانها الفياض إلى أمي الغالية والعزيزة إلى من عمل على تربيتي

وتعليمي إلى الأب الغالي حفظه الله عز وجل، إلى جميع إخوتي وأخواتي وإلى من جمعني بهم القدر وإلى رفقاء الدرب وكل من ساندني من قريب أوبعيد في إنجاح هذا العمل.

عبد المجيد

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم"**:من لم يشكر الناس لم يشكر الله**"

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد للهعلى إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ونشهد أن لا إله إلا لله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه ونشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى اللهعليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم.بعد شكرالله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث نتقدم بجزيل الشكر إلى الوالدين العزيزين الذين أعانونا وشجعونا على الاستمرار في مسيرة العلم والنجاح، وإكمال الدراسة الجامعية والبحث؛ كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى من شرفنا بإشرافه على مذكرة بحثنا الأستاذ **بوتدارة سالم** "الذي لن تكفي حروف هذه المذكرة لإيفائه حقه بصبره الكبير علينا، ولتوجيهاته العلمية التي لا تقدر بثمن؛ والتي ساهمت بشكل كبير في إتمام واستكمال هذا العمل؛إلى كل أساتذة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية ؛ كما نتوجه بخالص شكرنا وتقديرنا إلى كل من ساعدنا من قريب أومن بعيد على إنجاز وإتمام هذا العمل

كما نتقدم بالشكر والتقدير لكافة **أعضاء لجنة المناقشة**

على تجشمهم عناء القراءة والتقييم

" .رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين

عبد الرحمان عبد المجيد

قائمة الإختصارات	
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
د.ب	دون بلد
د.س	دون سنة
ص	صفحة
ط	طبعة
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري

مقدمة

مقدمة

عُرفت المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، والممتدة من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً في المصادر العربية ببلاد السودان، وتميزت هذه البلاد بعدة مظاهر طبيعية واقتصادية وثقافية وسياسية.

فانكبّ عدد كبير من المؤلفين المسلمين على دراسة هذه المظاهر خاصة في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) الى غاية القرن التاسع للهجرة 15م حيث ظهرت كتابات عربية بالغة الأهمية حول ممالك السودان وتناولت أيضا جغرافية هذه الممالك السودانية وتوزيع السكان وأصلهم وانحدارهم وكل شيء عن حياتهم اليومية.

ومن بين هؤلاء المؤلفين العرب الذين كتبوا عن بلاد السودان نجد أبو العباس أحمد القلقشندي والذي يعتبر كتابه صبح الأعشى في صناعة الانشاء مصدر بحثنا، ويحسن بنا أن نبدأ بالتعريف بصاحب هذه الموسوعة العلمية ثم الإنتقال لتحدث عن بلاد السودان من خلال مؤلفيه.

دوافع اختيار الموضوع: لقد تعددت أسباب اختيارنا لهذا البحث بين دوافع ذاتية وأخرى موضوعية:

1. **الدوافع الذاتية:** رغبتنا لمعرفة تاريخ بلاد السودان والخوض غمار البحث من خلال المصادر والمراجع
   - كما سبق لنا أن تناولنا مواضيع ذات صلة في مرحلة التدرج

الدوافع الموضوعية: نظرا لكون الدراسات الأكاديمية السابقة تناولت تاريخ بلاد السودان من الناحية الغربية واقتصرت على ذلك، وباعتبارنا كباحثين في التاريخ فمن واجبنا

تسليط الضوء على بلاد السودان والبحث في تاريخها وإعطاء صورة ولو صغيرة عن بعض الممالك التي عرفتها بلاد السودان.

أهمية وأهداف الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في اكتساب معلومات عن أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، وكذلك التعريف ببلاد السودان وأهم المماليك والإمارات ودراسة الطبيعة الجغرافية لهذه المنطقة، وكذلك لتشجيع الباحثين للخوض في غمار البحث والمعرفة من أجل التعريف بتاريخ المنطقة.

إشكالية البحث: تتمثل إشكالية الموضوع في ما يلي:

ماهي أهم الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ذكرها القلقشندي عن بلاد السودان في كتابه صبح الاعشى؟

ولمحاولة الإجابة عنها قسمنها الى تساؤلات فرعية:

- من هو أبو العباس أحمد القلقشندي؟
- ما هو كتاب صبح الاعشى في صناعة الانشاء؟
- ما أصل تسمية بلاد السودان؟ وما هي ابرز معالمها الطبيعية؟
- ما هي أهم الممالك ببلاد السودان؟

المنهج المتبع: لدراسة هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي وذلك من أجل معرفة تاريخ بلاد السودان ومعرفة حياة السودانيين ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا.

خطة البحث: لقد قسمنا بحثنا هذا الى مقدمة وفصلين وتناولنا في الفصل الأول التعريف بسيرة القلقشندي وادرجنا في هذا الفصل ثلاثة مباحث وتطرقنا في المبحث الأول مولده ونشأته العلمية، اما المبحث الثاني المعنون بتعرف كتاب صبح الأعشى حاولنا ذكر كل

ما جاء في هذه الموسوعة العلمية بإيجاز، أما المبحث الثالث ذكرنا فيه أسلوب الكاتب والمصادر التي اعتمدها، أما بالنسبة للفصل الثاني الموسوم التعريف ببلاد السودان وقمسناه الى ثلاثة مباحث ودرسنا في المبحث الأول أصل تسمية بلاد السودان مع ذكر عدت اختلافات في اصل التسمية وتطرقنا كذلك الى تحديد موقع بلاد السودان وفيما يخص المبحث الثاني الموسوم بالدراسة الطبيعية لبلاد السودان من تضاريس وأنهار وجبال والفصول ما يميزها، أما المبحث الثالث الموسوم بأهم المماليك ببلاد السودان من خلال كتاب صبح الأعشى، ثم انهينا بحثنا بخاتمة لخصنا فيها أهم ما جاء في هذا البحث.

الدراسات السابقة: لم تكن هذه الدراسة هي الأولى من نوعها وانما سبقتها دراسات أخرى نذكر منها:

- الدراسة التي أجرها الطالبان حكيمة بومريق وسهير بوراس التي حملت عنوان أدوات الكتابة عند القلقشندي وهي مذكرة شهادة ماستر في التاريخ مقدمة من طرف جامعة محمد بوضياف، المسيلة.
- الدراسة التي أجرها الطالب أحمد عبدالرحمن الذنيبات المعنونة أبو العباس القلقشندي أديبا، وهي رسالة ماجستير تخصص لغة عربية وآدابها، من جامعة مؤته بمصر.
- الدراسة التي أجرها الطالب قدور وهراني والموسومة منهجية الكتابة عند القلقشندي من خلال كتابه مآثر الاناقة في معالم الخلافة، وهي رسالة دكتورة في التاريخ والحضارة الإسلامية من جامعة وهران.
-

أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث:

لقد اعتمدنا أثناء إنجازنا لهذا الموضوع على مصادر ومراجع منها:

المصادر المطبوعة:

- صبح الأعشى في صناعة الأنشاء الجزء الأول لأحمد أبو العباس القلقشندي.
- صبح الأعشى في صناعة الأنشاء الجزء الخامس لأحمد أبو العباس القلقشندي.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع الجزء الثاني للمؤلف شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي.
- وصف افريقيا لحسن الوزان الجزء الثاني.
- القزويني محمد ابن زكرياء، آثار البلاد وأخبار العباد.
- عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.
- المغرب في ذكر بلاد افريقيا، أبو عبد الله البكري.
- معجم البلدان الجزء الثاني، ياقوت الحموي.
- مسالك الأبصار في مماليك الأمصار، العمري ابن فضل الله.
- صور الأرض، أبو القاسم بن حمقل.

المراجع:

- أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، تأليف نخبة من الأساتذة، تقديم أحمد عزت عبدالكريم.
- منهجية الكتابة عند القلقشندي، قدور وهراني.
- التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء، الهادي مبروك الدالي.

- محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، نورالدين شعباني.
- الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني المصطلح الثائر وفكره الاصلاحي في توات والسودان الغربي، شترة خير الدين.
- تاريخ غرب افريقيا، فيجي جي دي.

صعوبات الدراسة:

لقد واجهتنا عدة صعوبات أثناء إنجازنا لهذا البحث نذكر منها:

صعوبة التعامل مع المصادر، بالإضافة الى ضيق الوقت حتمت علينا تجاوز الكثير من النقاط والعناصر في البحث، وكدالك قلة الدراسات السابقة حول الموضوع.

وفي الأخير نشكر كل من ساهم في إنجاز هذا البحث ومد يد العون من قريب أو بعيد.

الفصل الأول: سيرة أبي العباس القلقشندي.

المبحث الأول: مولده ونشأته.

المبحث الثاني: تعريف كتاب صبح الأعشى

المبحث الثالث: أسلوب الكاتب والمصادر المعتمدة في الكتاب

تمهيد:

أسهم العديد من المؤرخين العرب في تدوين تاريخ بلاد السودان وفي مختلف المجالات، الثقافية والسياسية والدينية، ومن أشهر هؤلاء المؤرخين العرب أبو العباس أحمد القلقشندي والذي يعتبر كتابه "صبح الاعشى في صناعة الإنشاء" مصدراً مهماً لدراسة تاريخ وبيئة بلاد السودان.

المبحث الأول: مولده ونشأته

1 _مولده:

ولد أبو العباس أحمد القلقشندي سنة (756هـ /1355م)[1] بقلقشندة، بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية وفتح الشين وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكة

اغير أن ياقوت الحموي ذكر هذه المدينة في معجمه بالراء بدلاً من اللام وهذه المدينة جنوب مركز طوخ بمحافظة القليوبية في منطقة الدلتا المصرية، وبينها وبين القاهرة مسافة لا تزيد عن 4 أو 6 كيلومترات، كما تقع غربي بلدة أجهور الكبرى على ترعة الجاموس[2].

وقال ابن خلكان: "وهي على ثلاثة فراسخ من القاهرة وهي بلدة حسنة المنظر كثيرة البساتين غزيرة الفواكه"، أما حمزة عبد اللطيف فيقول: إنها المدينة التي يحق لها أن

[1] شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص355.

[2] أحمد عبد الرحمان الذنيبات: أبو العباس القلقشندي أديبا، رسالة الماجستير لغة عربية وأدابها، سمير الدروبي، جامعة مؤته، 2001م، ص35.

تباهي المدن المصرية بنجابة أبنائها فهي التي أنجبت ثلاثة من الرجال العلماء أولهم الليث بن سعد من أعظم فقهاء مصر في القرن الثاني الهجري[1]

كان رجلاً فاضلاً مسموع الكلمة قد رزقه الله سعة في المال وفي الجاه، ولكن علمه أكثر من ماله وجهه، والليث بن سعد هو الفقيه الذي قال فيه الإمام الشافعي:"**الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به**"[2] وقال فيه ابن وهب "**ما رأينا قط أحداً أفقه من الليث**"[3]، عاش هذا الفقيه الكبير في مدينة قلقشندة عيشة رغيدة هنيئة، وكان معروفا بالبر لأهل العلم يهبهم من ماله وعلمه، ويسعهم بخلقه وفضله وأدبه.

ومات الليث سنة خمس وسبعين ومائة وقيل في رثائه:

ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم قريبا وقبر[4]

وفي القرن الثامن للهجرة أنجبت مدينة قلقشندة رجلها الثاني سنة سبعمائة وستة وخمسون ميلادية، ومن بعده أنجبت ابنه محمد وهو الذي نبغ في الحديث وفي الشعر معاً، ولد هذا الأخير سنة سبع وتسعين وسبعمائة ومات غريقاً في النيل في ربيع الأول سنة ست وسبعين وثمانمائة

اما والده أبو العباس فقد سبق أن قلنا إنه ولد سنة ست وخمسين وسبعمائة من أصل عربي، فهو من بني بدر من فزارة من قيس عيلان، وكان بنو فزارة قد وفدوا على مصر

---

[1] نفسه ص 36.

[2] أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، مصورة عن الطبعة الاميرية، المؤسسة المصرية العامة، الجزء الاول، ص55.

[3] حمزة عبد اللطيف: القلقشندي في كتابه صبح الأعشى عرض وتحليل، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ص39.

[4] الذنيبات، مرجع سابق، ص40.

مع من وفد اليها من العرب منذ الفتح الإسلامي ونزلوا بإقليم القليوبية واستولى بنو بدر منهم على معظم هذا الإقليم، وأصبحت لهم الرياسة والغلبة على جيرانهم فيه كما أصبحت لهم الغلبة كذلك في هذا الإقليم على بني عمومتهم بني مازن بن فزارة

ومعنى هذا كله أنه كان لقلقشندة فريقان كبيران هما: فريق بني بدر، وفريق بني مازن، وكلاهما من فزارة ولكن الرياسة آلت الى الفريق الأول الذي ينتمي اليه صاحب السيرة

2_ نشأته العلمية

نشأ أبو العباس القلقشندي في مسقط رأسه نشأة علمية سليمة وتربى تربية صحيحة، وبقي بها حتى سن الخامسة عشر تقريبا، توجه الى الإسكندرية وأقام بها مدة من عمره من أجل طلب العلم على يد أشهر العلماء في زمانه، واشتغل خلال هذه الفترة بتعلم وجمع فنون اللغة العربية والأدب حتى اجتمع له من دالك مقدار وافر منها[1].

وتميز أبو العباس القلقشندي بثقافة واسعة فبالإضافة لبراعته في الأدب فقد كتب في الإنشاء، وشرح جامع المختصرات لكمال الدين أحمد بن عمر بن أحمد بن مهدي المتوفى 757هـ، بل وعمل في نظمه ومما يدل على قوة ذاكرته أنه كان يستحضر معظم ذلك، كما يذكر أنه نظم سيرة المؤيد لابن ناهض مما يجعلنا نستشف من هذه الترجمة ان أبا العباس القلقشندي قد كتب نثرا ونظم شعرا[2].

وهذ ما أشار إليه ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة في قوله: "ونظم ونثر" وهو بذلك مثل معظم علماء عصره ممن تعانى النظم مع النثر، وإن لم يكن له ديوان أفرد فيه

[1] حكيمة بومريق، سهير بوراس: أدوات الكتابة من خلال صبح الأعشى للقلقشندي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، القرون الوسطى، عبد السلام همال، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة،2017/2016م ص18

[2] الذنيبات: مرجع سابق، ص39

شعره، إلا أنه اعتمد على بعض المقطوعات المنظمة في موسوعته "صبح الأعشى في كتابة الإنشاء " جاءت في مجالات من الاستشهاد، هذا مع كونه مناهضا للشعر منتصرا ومنحازا للنثر فيقول: "والنثر أرفع منه درجة واعلى منه رتبة، وأشرف مقاما، وأحسن نظاما، إذ الشعر محصور في الوزن والقافية يحتاج الشاعر معها إلى زيادة الألفاظ والتقديم والتأخير، وقصر الممدود ومدّ المقصور، وصرف مالا ينصرف ومنع ما ينصرف من الصرف واستعمال الكلمة المرفوضة وتبديل اللفظة الفصيحة بغيرها، وغير دالك مما تلجئ إليه ضرورة الشعر فتكون معانيه تابعة لألفاظه، والكلام المنثور لا يحتاج فيه إلى شيء من دالك فتكون ألفاظه تابعةً لمعانيه، ويؤيد دالك أنك إذا اعتبرت ما نقل من معاني النثر إلى النظم وجدته قد انحطت رتبته[1]"، فقد كان باعه في النثر أطول، إذ اهتم في الإنشاء، وعمل موسوعته المذكورة: «وجمع فيها جمعا كبيرا مفيدا" ولعل دالك عائد لعلمه في ديوان الإنشاء في عهد السلطان الظاهر برقوق، وتعود أهمية هذا الديوان في دالك العصر خاصة، أنه كان لا يعمل فيه سوى أقطاب النثر والبلاغة، الذين تؤهلهم معارفهم الواسعة للوقوف على شؤون الحكم والسياسة الداخلية والخارجية، وسير العلائق الدبلوماسية بين المماليك وباقي الأمم، ولديوان الإنشاء بمصر... منذ أيام الدولة الفاطمية تاريخ حافل، وقد لبث عصورا مدرسة أدبية زاهرة، يجتمع فيها اقطاب الكتاب وأئمة النثر والبلاغة حتى وصف أبو العباس القلقشندي علم الكاتب بقوله: «على أن كاتب الإنشاء في الحقيقة لا يستغني عن علم، ولا يسعه الوقوف عند فن" وينقل عن ابن الأثير قوله في المثل السائر:" أن صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون حتى أنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء والماشطة عند جلوة

[1] أبي العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة، ج1، ص58

العروس، وإلى ما يقوله المنادي في السوق على السلعة؛ فما ظنك بما فوق هذا وذاك لأنه مؤهل أن يهيم في كل واد، فيحتاج إلى أن يتعلق بكل فن" وكانوا لا يجيزون تعيف صاحب الكتابة بالكاتب، في حين جاز التعريف صاحب النحو بالنحوي، وصاحب الفقه بالفقيه، وصاحب اللغة بالغاوي، إلا صاحب التابة فلا يقال فلان الكاتب لما يفتقر إليه من الخوض في كل فن[1] .

على أن المعرفة التي اشترطوها في كاتب الإنشاء لم يجعلوها على نفس الحد من الإلمام، فمنها ما يحتاج على المعرفة الدقيقة كاللغة التي منها يستمد الألفاظ، والنحو الذي به استقامة الكلام وعلوم البلاغة من المعاني والبيان والبديع التي بها يحصل التحسين والتقبيح ومنها ما يعرف بطريقة العرض كالطب والهندسة والهيئة "الفلك" وغيرها من العلوم حتى أنه ربما يحتاج مصطلح سفل الناس، لكتابة أمور هزلية: كمعرفة أحوال الطفيلية فيما يكتب به الطفيلي امتحانا للخاطر أو ترويحا عن النفس[2].

كما أن للكتابة والكاتب صفات وآداب ما هو واجب لا يسع إهمالها، بالنسبة للكتابة فيذكر أبو هلال العسكري في بعض أبواب كتابه {الصناعتين}:" ينبغي أن تعلم أن الكتابة تحتاج إلى آلات كثيرة، وأدوات جمَّة: من معرفة العربِيَّة لتصحيح الألفاظ وإصابة المعنى؛ وإلى الحساب، وعلم المساحة، والمعرفة بالأزمنة والشهور والأهلة وغير دالك مما ليس هذا موضع ذكره وشرحه".

وذكر أبو جعفر النحاس في كتابه {صناع الكتاب} في المرتبة الثانية منه ما يتعلق بالخط: ان من أدوات الكتابة البلاغة، ومعرفة الأضداد مما يقع في الكتب والرسائل والعلم يترتب أعمال الدواوين، والخبرة بمجاري الأعمال، والدُّربة بوجوه استخراج الأموال،

[1] الذنيبات: مرجع سابق ص41

[2] الذنيبات: مرجع سابق، ص41

مما يجب ويمتنع، ثم قال: فهذه الآلات ليس لواحد منها تميزٌ بذاته، ولا انفراد باسم يخصه؛ وإنما هو جزء من الكتابة وأصل من أركانها.

أما بالنسبة للكاتب فصفاته كثيرة منها: الإسلام، والذكورة، والحرية، والتكليف، والعدالة، والبلاغة، ووقور العقل، وجزالة الرأي، والعلم بمواد الأحكام الشرعية والفنون الأدبية، وقوة العزم، وعلو الهمة، وشرف النفس، حاضر الحس، جيد الحدس، حلو اللسان، له جراءة، وفيه تؤدة، شريف الأنفة، عظيم النزاهة، كريم الأخلاق، مأمون الغائلة، مؤدب الخدام، معتدل القامة، صغير الهامة، صادق الحس، لطيف المذهب، نظيف المجلس، ظاهر المروءة، عطر الرائحة، دقيق الذهن، حسن البيان، رقيق حاشي اللسان، حلو الإشارة.[1]

وأما في آدابهم فهي أن يكون حسن السيرة وشرف المذهب، وحسن العشرة كما ويشير القلقشندي إلى عدد من الأنبياء عليهم السلام الذين كتبوا لغيرهم: كيوسف عليه السلام، إذ كان يكتب للعزيز، وهارون ويوشع عليهما السلام كانا يكتبان لموسى عليه السلام وسحبان بن داود كان يكتب لأبيه، ويحي بن زكريا كان يكتب للمسيح عليه السلام.

وإذا كانت هذه الصفات من شروط العمل في ديوان الإنشاء، فإننا نستدل على توافرها في أبي العباس أحمد بن عبد الله القلقشندي، والذي عمل فيه ما بين عامي "791-816"هـ على أقل تقدير وربما حتى تاريخ وفاته[2].

وإذا لم يتمكن القلقشندي طوال هذه الفترة من أن يكون على رأس ديوان الإنشاء فان ذلك لا يعني أنه لم يكن يمتلك المؤهلات الأدبية والعلمية لذلك، بل ربما كان يربأ بنفسه عن أن يسلك إليه سبل التزلف والرشوة، كما كان سائدا في دالك العصر وليس أدل على

[1] أبي العباس أحمد القلقشندي: صبح الاعشى، مرجع سابق، ص85.

[2] مصدر نفسه، ص39

قدرته من شهادة المترجمين له مشيرين إلى قدرته في الإنشاء إذ يصفه العيني بقوله:" وكان يعاني جميع ما يتعلق بصنعة الإنشاء".

وقول ابن تغري بردي "وكتب في الإنشاء، وصنف فيه كتابا أسماه صبح الأعشى في كتابة الإنشاء" على أن ثقافة القلقشندي اتسعت لتشمل علوم الفقه والفرائض، وفي ذلك يقول المقريزي:" وشارك في الفقه وعرف الفرائض. وكتب في الفقه وغيره" ومثل ذلك وصف ابن تغري في كتابه "النجوم الزاهرة" و "المنهل الصافي" فيقول "أحد موقعي الدست إماما فقيها بارعا في العبية، مشاركا في الفقه والفرائض، ناب في الحكم سنين، كتب في الأنشاء، وكان ماهرا في ذلك، له نظم ونثر، صنف في الفقه، كان له فضل وأفضال وقورا في الدولة"[1]

وكما لا حظنا خلال هذه الترجمات انه شغل منصبا أخر في الدولة ساعده في الاطلاع على أمور أخرى من مناحي الحياة والدولة، وهو اشتغاله في ديوان الأحباش، ذكر ذلك العيني في "عقد الجمان" بقوله:" وكانت له مباشرة في ديوان الأحباس" وكذلك ما أورده صاحب "نزهة النفوس والأبدان "بقوله:" وكانت له مباشرة في ديوان الأحباس"

ويحدثنا أبو العباس القلقشندي فيما ينقله عن ابن طوير حول الأحباس بقوله:" وهي أوكد الدواوين مباشرة، ولا يخدم فيها إلا أعيان كتاب المسلمين من الشهود المعدلين[2]".

ولعل أكثر ما يهمنا في هذا الديوان من أنه أوكد الدواوين أي أدقها تنظيما، وكذلك أنه لا يقدم فيها إلا أعيان كتاب المسلمين، من الشهود المعدلين، وهذا ما يدلنا على أن هذه الصفات قد توافرت في أبي العباس من العدالة والدقة وعلو المكانة بين أعيان كتاب

[1] القلقشندي، مصدر سابق، ص100.

[2] الذنيبات: مرجع سابق، ص44

المسلمين، فوصل إلى المباشرة في هذا الديوان، وهذه الإشارات تدل على أن القلقشندي كان يمتلك ثقافة حسابية وأدوات الحساب واستخراج الأموال في وجوهها، واستيفاء الحقوق السلطانية فيها على أن القلقشندي الذي عمل في كلا المركزين _ ديوان الأحباس وديوان الإنشاء يفضل كتابة الإنشاء على سائر الكتابات، إذ يرى أن كتابة الإنشاء مستلزمة للعلم بكل نوع من الكتابة، فكاتب الإنشاء يحتاج فيما يكتبه من ولايته ومكاتباته فيما يتعلق بكتابة الأموال، إلى أن يمثل لهم في وصايا من صناعتهم ما يعتمدونه ويبين لهم ما يأتونه ويذرونه، فلا بد أن يكون عالما بصناعة من يكتب له بخلاف كاتب الأموال فإنه يعتمد على رسوم مقررة و أنموذجات محررة لا يكاد يخرج منها، ولا يحتاج فيها إلى تغيير ولا زيادة ولا نقص وكذلك اشتمال كتابة الإنشاء على البيان الدال على لطائف المعاني، التي هي زبدة الأفكار، جواهر الألفاظ فيها يتنافس أصحاب المناصب الخطيرة، والمنازل الجليلة أكثر من تنافسهم في الدر والجوهر.

وقد قال بعض الحكماء: الكُتَّاب كالجوارح كل جارحة منها ترفد الأخرى في عملها بما به يكون فعلها، وكاتب الإنشاء بمنزلة الروح الممتزجة للبدن المدبرة لجميع جوارحه وحواسه[1].

3 ـ مؤلفات القلقشندي:

ألف القلقشندي العديد من الكتب في الفقه والأدب ومختلف العلوم والفنون منها:

- "الغيوث الهوامع في شرح المختصرات والمختصرات الجوامع[2]"

[1] القلقشندي، مصدر سابق، ص55

[2] الذنيبات، مرجع سابق، ص49

وهو كتاب نسب إلى شيخ من شيوخ مصر هو المدلجى كمال الدين أحمد بن عمر بن أحمد بن مهدي، المتوفى سنة 757هـ وتولى شرحه القلقشندي بعد ذلك بمدة يسيرة.

❖ـ شرح لكتاب (الحاوي الصغير في الفروع)

للقزويني نجم الدين بن عبد الغفار بنن عبد الكريم، الشافعي، المتوفى سنة ستمائة خمسة وستين للهجرة، ثم ان أبا العباس في هذه المرحلة الثانية من حياته لم يكتف بالعناية بعلم الفقه، بل أخذ نفسه كذلك بالتمرس بفن الأدب وما يدلنا على ذلك أنه ألف في هذه المرحة طائفة من الكتب والرسائل الأدبية منها:[1]

❖ـ حلية الفضل والكرم في المفاضلة بين السيف والقلم، وهو رسالة أنشأها للمقر الزيني أبي يزيد الداودار الظاهري، وذلك في شهور سنة 794 للهجرة، وفي تلك السنة كان السلطان الظاهر برقوق قد ولى أبا يزيد هذا وظيفة الداودارية.

❖ـ شرح قصيدة ((بانت سعاد)) لكعب بن زهير قال فيه القلقشندي نفسه:

وقد وضعت على هذه القصيدة شرحا بديعا سميته (كنه المراد في شرح بانت سعاد) فتح الله فيه بمعان لم أقف عليها في شرح لها من قبل.

وتعتبر هذه المرحلة الأولى للقلقشندي في التأليف قبل أن يلتحق بديوان الإنشاء، وقد خرج من هذه المرحلة بزاد كبير من العلوم والفنون، وفي سنة 791هـ/1388م اختير القلقشندي للعمل في ديوان الإنشاء، ولذكاء أبي العباس استمر عطائه وجادت قريحته بطائفة أخرى من التب تتفق وهذا العمل الأخير ومن هذه الكتب ما يلي[2]:

[1] القلقشندي، المرجع السابق، ص101.

[2] حكيمة بومريق، مرجع سابق، ص19

❖ ـ مقامة في تقريظ القاضي بدر الدين بن القاضي علاء الدين بن القاضي محيي الدين بن فضل الله رئيس ديوان الانشاء في ذلك الوقت

وأطلق عليها القلقشندي على هذه المقامة اسم (الكواكب الدرية في المناقب البدرية) وبناها على التعريف بكتابة الإنشاء[1]، وكانت البنية الأولى لتأليف موسوعته "صبح الأعشى في كتابة الإنشاء[2]"، فأوضح أنها الحرفة التي لا يليق بطالب العلم غيرها، والصناعة التي لا يجوز لها العدول عنها، وضمنها كثيرا من أصول الصنعة في الكتابة.

غير أن هذه المقامة برغم من اشتمالها على كثير من المعاني كانت من الايجاز الشديد بحيث احتاجت من أبي العباس الى شرح واف يكشف اشارتها ويوضح عبارتها ومن ثم فكر القلقشندي في وضع كتابه المشهور:

❖ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء

وقد جعله شرحا لهذه المقامة واستغرق في وضعه وقتا طويلا، وسنأتي بالتعريف بهذا الكتاب في مبحث مستقل[3].

❖ ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب[4]

ألفه القلقشندي للمقري الجمالي العثماني الأموي، وقدمه هدية إليه شأنه شأن كتاب عصره، ويذكر ذلك في كتابه مبينا سبب تأليفه للكتاب: "وهؤلاء هم عشيرة المقري الجمالي الموضوع له الكتاب ومن جرثومة نسبة ومن غرائب الاتفاق الذي أجبه سعده

---

[1] عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص45

[2] الذنيبات، مرجع سابق، ص50

[3] عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص45

[4] أبو العباس القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، إبراهيم الإبياري، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروتن 1980، ص14

وأثبته حظه إن اقتضت اتفاقية حروف المعجم جعل حيه أول الأحياء الواردة في هذا الكتاب ذكرا ولو تقصد ذلك مقتصد لم يتأت له لكنه أعز الله تعالى نصره قد أكمل الدهر سعده، وأسعد الوقت جده، واعقمت الأيام عن مثله فلم تأت بنظيره له مثله ولا بعده:

عزيز به مصر تكامل عزها وعن رأيه أمر الممالك يصد

وتلقى له كل الملوك مسامعا وتصغى له فيما أمر يسر ويجهر

وقسم كتابه كما يلي:[1]

- مقدمة
- الباب الأول مقدمة في ذكر أمور يحتاج إليها في علم الأنساب ومعرفة القبائل
- الفصل الأول في فضل علم الأنساب وفائدته
- الفصل الثالث في طبقات الأنساب
- الفصل الرابع في ذكر مساكن العرب القديمة
- الفصل الخامس في بيان أمور يحتاجها الناظر في علم الأنساب إليها
- الباب الثاني المقصد في معرفة تفاصيل أنساب قبائل العرب
- في ذكر عمود نسب النبي صلى الله عليه وسلم
- في ذكر تفاصيل قبائل العرب مرتبة مقفاة على حروف المعجم:
- بنو الحارث، بنو الكلاع، آل أبي الحرام، البلابيش، العطويون، بنو بدا، بنو جابر، بنو حدان، بنو دهمان، بنو ساعدة، بنو شيبة، بنو عبد القيس، بنو عفير، بنو فضالة، بنو مغيلة.
- الباب الثالث خاتمة في ذكر أمور تتعلق بأحوال العرب.
- الفصل الأول في معرفة ديانات العرب قبل الإسلام وعلومهم.

[1] ابي العباس أحمد القلقشندي، مرجع سابق، ص05.

- الفصل الثالث في ذكر حروب وأيام العرب في الجاهلية.
- الفصل الرابع في الجاهلية وهي ثلاث عشرة نارا.
- الفصل الخامس في ذكر أسواق المعروفة قبل الإسلام[1].

ـ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان[2]:

هو كتاب متمم ومكمل لكتبه الأول في الأنساب، يشرح ذلك في مقدمة كتابه قائلا: "وبعده، فلما كان العلم بقبائل العرب من لازم كتابة الإنشاء الذي أهمل جانبه، وسكن لقلة معانيه بعد الحركة ضاربه، ورفض تداوله حتى قل معانيه وعن طالبه وكان كتابي المسمى "نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب"، قد احتوى من ذكر القبائل على الجم الغفير وطمع في الاستكثار فلم يكتف من ذكر الشعوب باليسير، إلا أن من القبائل المذكورة فيه ما اخنى عليها الزمان، وجهل حالها الآن في الوجود والعدم فلم تعرف لها ارض ولم يوقف لها على مكان مع أن القدر الذي يحتاج كتاب الإنشاء منه الأخذ بتفصيله ويضطر إلى تفريعه وتأصيله، من يضمه نطاق الديار المصرية من عربان الزمان، وجهل حالها الآن في الوجود والعدم فلم تعرف لها أرض ولم يوقف لها على مكان؛ مع أن القدر الذي يحتاج كاتب الإنشاء منه إلى الأخذ بتفصيله[3]".

أهدى القلقشندي كتابه لصاحب الديوان الإنشاء قائلاً: "وكان المقر الأشرف العالي المولوي القاضوي الكبيري النظامي المدبري السفيري اليميني المشيري الأصلي العيقي

---

[1] قدور وهراني: منهجية الكتابة التاريخية في معالم الخلافة، رسالة دكتوراة، التاريخ والحضارة الإسلامية، محمد بن عمر، قسم الحضارة الإسلامية، العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، 2014/2013 ص82

[2] أبو العباس القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1982.ص4،5.

[3] نفسه، ص2.

الكفيلي الناصري: نظام الملك نجي السلطنة، لسان المملكة، ماللك زمان الأدب، جامع أشتات الفضائل أبو المعالي محمد الجهني البارزي الشافعي الؤيدي، صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية جمّل الله تعالى الوجود ببقائه، وأدام علوه ولا رتبة في الرياسة فوق رتبته فتعالى نسباً وزاد في ارتقائه، قد أُلقي إليه من الممالك الإسلامية مقاليدها، ودانت لسورة كتبه الأقطار المتقاصية قريبها وبعيدها...كانت خزانته العالية عمرها الله تعالى بدوام أيامه، وأراه من محاسن جمعها في اليقضة ما يمتنع أن يراه القاضي الفاضل في منامه، قد سعدت بإسعاد جدوده؛ مع استماله من شريف النسب على الصفقة الرابحة، وتمسكه من الإنتساب إلى العرب العاربة من بني قحطان... أحببت أن أخدم جانب علاها بمختصر من ذكر قبائل العرب المنتظم في سلك الزمان الآن وجودهم، والمحيطة بعنق الآفاق في هذا العصر عقودهم؛ مُصدِّراً له بذكر طرف من أنساب الأمم ليتم بذلك من الفرض، واصلاً نسب كل أُمة منها بعمود النسب المحمدي ليعلم اتصال الأمم بعضها ببعض[1]".

وقسم القلقشندي كتابه كما يلي[2]:

1. المقدمة في ذكر أمور يُحتاج إليها في علم الأنساب، ومعرفة القبائل وفيها خمسة فصول:

الفصل الأول: في فضل علم الأنساب ومسيس الحاجة إليه.

الفصل الثاني: في بيات من يقع عليه اسم العرب، وذكر أنواعهم وما ينخرط في سلك ذلك.

[1] القلقشندي، قلائد الجمان، ص2،3.

[2] نفسه، ص4.

الفصل الثالث: في معرفة طبقات الأنساب، وما يلتحق بذلك.

الفصل الرابع: في ذكر مساكن العرب القديمة التي منها درجوا إلى سائرالأقطار.

الفصل الخامس: في ذكر أمور يحتاج إليها الناظر في علم الأنساب.

2. المقصد في معرفة تفاصيل أنساب القبائل وفيه فضلان:

الفصل الأول: في ذكر عمود النسب النبوي، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، وما يتفرع عنه من الأنساب.

الفصل الثاني: في ذكر تفاصيل القبائل، وما يتيسر ذكره من مساكنهم الآن.

الخاتمة في ذكر نبذة من أوصاف المقر الأشراف له هذا الكتاب ومناقبهن ونُبذة من سيرته الغراء[1].

❖ـ ضوء المسفر وجني الدوح المثر

وهو مختصر لكتابه "صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ولم يطبع منه سوى الجزء الأول في مطبعة الواعظ في القاهرة سنة 1324هـ، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية في 484 صفحة[2].

[1] القلقشندي، قلائد الجمان، ص5.

[2] الذنيبات، مرجع سابق، ص57.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب صبح الأعشى

يعتبر كتاب صبح الأعشى في معرفة الإنشاء من أفضل تصانيف القلقشندي فيه أربعة عشر مجلداً[1]، تشتمل على ما يقرب سبعة آلاف صفحة، وهو كتاب رائع من الكتب التي لا يستغني عنها الأديب، أو المؤرخ، أو المهتم بالنظريات السياسية، لأنه حوى على كل فن طرفاً، مع سلاسة في الأسلوب، وروعة التعبير وانسجام بين الموضوعات وقد سماه صاحبه بهذه التسمية لأنه نور يهتدي به، فالأعشى في اللغة العربية هو ذلك المصاب بمرض يفقد على اثره الرؤية إذا انعدمت أشعة الشمس، ولاريب أن المصاب بهذا المرض لا ينتظر الفرجة إلا بطلوع نور الصباح، فإذا كان هذا الكتاب بمثابة الصبح للأعشى، فمعنى ذلك أن الكتاب لن يوفقوا في مهمتهم ما لم يدرسوه، ولن يبدعوا في صناعتهم إذا لم يجعلوه رائداً ومناراً[2].

ويقول فيه الدكتور طه حسين "وهي خير ما أخرج للناس في هذا العصر، عصر الموسوعات الكبرى، ولو لم يكن له إلا ذلك لكفاه" ولما كانت هذه الموسوعة المرجع الرئيسي للبحث فقد ارتأيت أن أعرضها بشيء من التفصيل، فحول دوافع تأليفها يقول القلقشندي :"إلا أنه قد وقعت موقع الوحي والإشارة، ومالت إلى الإيجاز، فاكتفت بالتلويح عن واسع العبارة، فعز يذلك مطلبها، وفات على المجتني ببعد التناول أطيبها، فأشار من رأيه مقرون بالصواب، ومَشُورته عرِيَّة عن الارتياب، أن أتبعها بمصنف مبسوط يشتمل على أصولها وقواعدها، ويتكفل بحل رموزها وذكر شواهدها، ليكون كالشرح عليها... فشرعت في ذلك بعد أن استخرت الله تعالى (وما خاب من استخار) وراجعت أهل المشورة (وما ندم من استشار) مستوعبا من المصطلح ما استمل عليه "التعريف"

[1] بومريق، مرجع سابق، ص20.

[2] قدور وهراني، مرجع سابق، ص 78

و"التثقيف" موضحا لما أبهماه بتبيين الأمثلة مع قُرب المأخذ وحُسن الأليف، متبرعا بأمور زائدة على المصطلح الشريف لا يسع الكاتب جهلُها مُتَنَقِّلا من توجيه المقاصد، وتبيين الشواهد بما يعرف به كل قضية وأصلها، آتيا من معالم الكتابة بكل معنى غريب، ناقلاً الناظر في هذا المصنف عن رتبة أن يسأل فلا يحاب إلى رُتبه أن يُسئل فيجب، منبها على ما يحتاج إليه الكاتب من الفنون التي يخرج بمعرفتها عن عُهدة الكتابة ودركها، ذاكراً من أحوال الممالك المكاتبة عن هذه المملكة ما يُعرف به قدرُ كل مملكة وملكها، مبيناً جهة قاعدتها، التي هي محل الملك شرقاً أو غرباً، أو جنوباً أو شملاً، معترفا الطريق الموصل إليها، برا وبحرا، وانقطاعا واتصالا، ذاكرا مع كل قاعدة مشاهير بُلدانها إكمالاً للتعريف، ضابطا لأسمائها بالحروف كي لا يدخُلها التبديل والتحريف، وسمَّيته (صبح الأعشى في كتابة الإنشاء) راجيا من الله تعالى أن يكون بالمقصود وافيا، وللغليل شافيا[1]".

وقد سار القلقشندي في تأليفه للكتاب على منهاج خاص، ووضع له تصميما حدد به الموضوعات التي يهتم بدراستها، وقد رتبه على مقدمة، وعشر مقالات، وخاتمة[2].

المقدّمة

في مبادٍ يجب تقديمها قبل الخوض في كتابة الإنشاء، وفيها خمسة أبواب.

الباب الأوّل

في فضل الكتابة، ومدح فضلاء أهلها، وذمّ حَمْقاهم وفيه فصلان.

---

[1]أبي العباس أحمد القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة، ج1، ص

[2]قدور وهراني، مرجع سابق،ص79.

الفصل الأوّل ـ في فضل الكتابة.

الفصل الثاني ـ في مدح فضلاء الكُتَّاب وذم حَمْقَاهم.

الباب الثاني

في ذكر مدلول الكتابة لغةً واصطلاحاً، وبيان معنى الإنشاء، وإضافة الكتابة إليه، ومرادفة لفظ التوقيع لكتابة الإنشاء في عُرْف الزمان، والتعبير عنها بصناعة الترسل، وتفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة، وترجيح النثر على الشعر وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأوّل ـ في ذكر مدلولها، وبيان معنى الإنشاء وإضافتها إليه. ومرادفة التوقيع لكتابة الإنشاء في عرف الزمان، والتعبير عنها بصناعة الترسُّل.

الفصل الثاني ـ في تفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة.

الفصل الثالث ـ في ترجيح النثر على الشعر.

الباب الثالث

في صفات الكُتَّاب وآدابهم، وفيه فصلان.

الفصل الأوّل ـ في صفاتهم الواجبة والعرفية.

الفصل الثاني ـ في آدابهم.

الباب الرابع

في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الإسلام

وتفرقه بعد ذلك في الممالك وفي فصلان.

الفصل الأوّل ـ في التعريف بحقيقته[1].

[1] قدور وهراني: مرجع سابق، ص80.

الفصل الثاني ـ في أصل وضعه في الإسلام وتفرقه بعد ذلك في الممالك بالديار المصرية وغيرها.

الباب الخامس

في قوانين ديوان الإنشاء، وترتيب احواله، وآداب أهله وفيه أربعة فصول.

الفصل الأوّل ـ في بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعة قدره وشرف محله ولقبه الجاري عليه في القديم والحديث.

الفصل الثاني ـ في صفة صاحب هذا الديوان وآدابه.

الفصل الثالث ـ فيما يتصرف فيه متولى هذا الديوان ويديره ويصرفه بقلمه.

الفصل الرابع ـ في ذكر وظائف ديوان الإنشاء بالديار المصرية، وما يلزم رب كل وظيفة منهم، وما كان عليه الأمر في الزمن القديم وما استقرّ عليه الحال بعد ذلك[1].

المقالة الأوّل

تتحدث حول ثقافة الكاتب، وما يحتاج إليه من المعارف والأدوات، مقسما إياها إلى قسمين كبيرين هما: الأمور العلمية، والأمور العملية، أما الأمور العلمية، فهي ما يتعلق بعلوم العربية، والقرآن الكريم والحديث الشريف، والخطب والمكاتبات، ودواوين الشعراء والأمثال والتاريخ والأنساب والفقه، وكذلك الوصف للدواب بأنواعها، والصيد ولآلات المملوكية، وإلى ذلك الإلمام باللغات الأعجمية، وأما الأمور العلمية: فهي فيما يحتاجه الكاتب من أمور الخط وتوابعه.

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ص12.

المقالة الثانية

جعل هذه المقالة للحديث عن المسالك والممالك وهي أربعة أبواب: يتحدث الأول منها عن الأرض، من حيث الشكل والجهات وخطوط الطول ودوائر العرض، والأقاليم والبحار والبلدان، والثاني في الحديث عن الخلافة، والثالث: يخص به الديار المصرية منذ دخولها في الإسلام حتى عصره، محاولا إظهار فضل مصر على غيرها من البلدان وما فيها من آثار ومزروعات، ونيلها بفيضانه وخلجانه وكذلك قواعدها القديمة، ثم يتبع ذلك الحديث عن المملكة الشامية والحجاز من حيث الحدود والخواص، والعجائب والعمائر، والوحش والمواشي والطيور، والزروع والرسوم، ومن ملكها منذ القدم حتى عصر المؤلف.

أما الباب الرابع، فيتحدث فيه عن الممالك المحيطة بالديار المصرية[1].

المقالة الثالثة

وفي هذه المقالة تفصيل واف لترتيب المكاتبات وما يناسب أنواعها من الأقلام وأحجام الورق قديما وحديثا، وأنواع المراسم ومصادرها، وأقلام الترجمة واختصاصها، وفي فواتح الرسائل وخواتمها مع تفيل خاص لما يتعلق بذلك كله في ديوان الإنشاء المصري وهذه مزية من أجل مزايا الكاتب فإذا كان المؤلف يتحدث بصفة عامة عما يتعلق بموضوعه، في مختلف الدول الإسلامية والعصور المختلفة، فإنه يخص مصر دائما بالنصيب الأوفى من الشرح والبيان[2].

[1] الذنيبات، مرجع سابق، ص53.

[2] عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص18.

المقالة الرابعة

تدور حول المكاتبات الصادرة عن ملوك مصر، وتأتي هذه المقالة في بابين: جاء الأول في الأمور العمومية للمكاتبات وهو فصلين: الأول في المقدمات وما يناسبها، والثاني في أصول المكاتبات وترتيبها وما يخاطب به أهل الإسلام وغيرهم وكيفية طي الكتاب وفتحه وفضه وقراءته وحفظه.

أما الباب الثاني: فيدرس مصطلح الكاتبات الدائرة بين الإسلام وهو في ثمانية فصول، الأول: في الكتب الصادرة عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، والثاني: الكتب الصادرة عن الخلفاء، ابتداء وجوابا، والثالث: في الكتب الصادرة عن الملوك ومن في معناهم، الرابع: في الكتب الصادرة عن ملوك الديار المصرية وأهل المملكة في مصر والشام والحجاز ومن لهم صلة بدولتهم، والخامس في الكتب الواردة إلى السلطان من مصر، أما السادس: فهو في المكاتبات الإخوانية مما كان عليه المصطلح حتى استقر عليه الحال في صر المؤلف. والفصل السابع: في مقاصد المكاتبات من الأمور الخاصة بالملوك والخلفاء، كالبشارة بولاية الخلافة والدعاية للدين، والفصل الثامن: في طريقة إخفاء ما كتب في الكب، وله عدة طرق: اما بالترجمة أو بالمعالجة[1].

المقالة الخامسة

تناول في هذه المقالة مسألة الولايات وطبقاتها من الخلافة والسلطنة، وولايات أرباب السيوف وأرباب الأقلام، ثم الألقاب من خلافية ومملوكية والألقاب الصادرة إلى ذوي الولايات المختلفة، ثم البيعات، وما يكتب فيها بالنسبة للخلفاء والملوك ثم العهود وأنواعها

[1] الذنيبات، مرجع سابق، ص54.

من خلافية وملوكية لأولياء العهد وغيرها وهنا يقدم إلينا القلقشندي أيضا نماذج من مختلف المراسيم والعهود الصادرة بما تقدم، وفي مختلف العصور.

وتشغل المقالتان الرابعة والخامسة من صبح الأعشى نحو ثلاثة مجلدات من منتصف المجلد السادس إلى أواخر المجلد الثامن وفي رأينا أن هذا القسم، هو أهم أقسام الكتاب وأنفسها فهو يشتمل على مئات الوثائق والنصوص الرسمية والدبلوماسية ويلقى أعظم الضياء على تاريخ مصر النظامي والإداري في عصور الخلفاء والسلاطين، وعلى السياسة الخارجية المصرية، وعلاقة مصر بالأمم الإسلامية والنصرانية في تلك العصور وه مادة نفيسة من الوثائق والمحفوظات الجليلة التي لا يمكن أن نظفر بها في مؤلف آخر، وإن كان العمرى قد أورد في (المصطلح الشريف) شيئا منها[1].

المقالة السادسة

وفيها أربع أبواب، الباب الأول: في القضايا الدينية، فيما كتبه القدماء، ومن كتب في عصر المؤلف. الباب الثاني: فيما يكتب في الإطلاقات والباب الثالث: في الطرخانيات، أرباب السيوف والأقلام. الباب الرابع: في تحويل السنين، وما يكتب في التوفيق بين السنين الشمسية والقمرية.

المقالة السابعة

وفيها بابان: الباب الأول في ذكر مقدمات الإقطاعات من أمور تتعلق بمعناها، وأصل وصفها في الشرع، وأول من وضع ديوان الجيش في الإسلام، وفي بيان حكم الإقطاع، وانقسامه إلى قطاع تمليك واستغلال، الباب الثاني: فيما يكتب في الإقطاعيات في القديم والحديث وفي أصل ذلك في الشرع وما أقطعه الرسول صلى الله عليه وسلم.

[1] عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص20.

المقالة الثامنة

وهي في بابين. الأول: فيما يتعين على الكاتب معرفته من أقسام الإيمان، وما يقع به القسم من الأقسام التي أقسم الله تعالى بها. والباب الثاني: في نسخ الإيمان المتعلقة بالخلفاء، والمتعلقة بالملوك[1].

المقالة التاسعة

تناول في هذه المقالة عقود الصُّلح والفُسُوخ الواردة على ذلك وفيها خمسة أبواب، الأول: في عقد الأمان لأهل الكفر وكتابة الامانات لأهل الإسلام وذكر أصل ذلك من السنة. الثاني: ويتكلم في هذا الباب عن الدفن وأصله وعن دفن الملوك. الثالث: يبين فيه عقد أهل الذمة والأصول التي يرجع إليها هذا العقد وما يكتب فيه. الرابع: يتحدث فيه عن الهدنة بين ملوك الإسلام وملوك الكفار، وما يكتب في هذه المهادنات واختلاف الكُتَّاب الشرق والغرب في الديار المصرية. الخامس: في عقود بين ملكين مسلمين وفي الأصول التي تعتمد في ذلك وما يكتب عقد الصلح[2].

المقالة العاشرة

يعرض القلقشندي نماذج مختافة من الرسائل الملوكية في المديح والفخر والصيد، ثم يحدثنا عما يتعلق بديوان الإنشاء في غير شئون الكتابة، مثل البريد وتاريخه في مصر والشام، وهو فصل بديع جامع، ثم الحمام الزاجل وأبراجه ومطاراته، ثم المناور والمحروقات التي كانت تستعمل في استطلاع حركات العدو، وهذا الفصل هو خاتمة الكتاب.

---

[1] الذنيبات، مرجع سابق، ص55.

[2] أبي العباس القلقشندي: صبح الأعشى، مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة، ج1،ص 30.

هذا هو ملخص موجز لمحتويات (صبح الأعشى). وفي مواد الكتاب وفي تنظيمه وروحه وأسلوبه، ما يشهد لمؤلفه برفيع فنه، وقوة بيانه، وغزارة علمه، وواسع ثقافته[1].

المبحث الثالث: أسلوب الكاتب والمصادر المعتمدة في الكتاب

1ـ أسلوب الكاتب

تناول القلقشندي موضوع اللغة في كتابه (صبح الأعشى في كتابة الإنشاء)، وجعل اللغة رأس مال الكاتب، وهي الأساس في كلامه، والكنز الذي ينفق منه، فاعتبر الألفاظ قوالبا للمعاني التي يتصرف فيها الكاتب، ومن هنا فقد طلب من الكتاب التبحر في اللغة، ومعرفة مختلف علومها ودقائقها، من غريب ومترادف ومتباين، والحقيقة والمجاز وما إلى ذلك كما نبه لتعلم الفصيح من اللغة وهو ما نطق به من أهل أواسط بلاد العرب، وأشار لما على الكاتب معرفته مما تلحن به العامة وتغيره عن مواضعه[2]، وقد خص نوعا من اللغة أسماه الألفاظ الكتابية، ويعرفها بقوله:" وهي ألفاظ انتخبها الكتاب، وانتقوها من اللغة، استحسانا لها وتمييزا لها في الطلاوة والحلاوة" ويستشهد لذلك بقوله للجاحظ مفاده:" ما رأيت أمثل طريقة من هؤلاء الكتاب، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا، ولا ساقطا سوقيا"، وقول آخر لابن الأثير:" إن الكتاب غربلوا اللغة وانتقوا منها ألفاظا رائقة استعملوها"، وأما حول المعاني التي تستخدم، فقد جعلها من الألفاظ بمنزلة الأبدان من الثياب، فالألفاظ عنده تابعة والمعاني متبوعة، فما حسنت الألفاظ بمنزلة الأبدان من الثياب، فالألفاظ عنده تابعة والمعاني متبوعة، فما حسنت الألفاظ إلا لتحسين المعاني فالمعاني أرواح الألفاظ ومن أجلها وضعت وعليها بنيت.

---

[1] عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص21.

[2] أحمد عبد الرحمن الذنيبات: أبو العباس القلقشندي أديبا، رسالة الماجستير لغة عربية وأدابها، س مير الدروبي، جامعة مؤتة، 2001م،ص323.

ومن هذا الرسوم انطلق القلقشندي في إنشائه فجاءت ألفاظه سهلة الفهم، قريبة التناول مبتعدا عن الوعورة والتقعر في الاختيار؛ إذ يرى أن الهدف من الكلام هو:" الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى، فإذا ذهب الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به " وربما جاز للباحث القول : إن هذه الرسوم والمعايير تكاد تنسحب على شتى فنون الكتابة، التي طرقها القلقشندي، فمن ذلك قوله في بيعة مرتبة على خلع خليفة:" الحمد لله الذي جعل بيت الخلافة مثابة للناس وأمنا وأقام سور الإمامة وقاية للأنام وحصنا وشد لها بالعصابة القرشية أرا وشاد منها بالعصبة العباسية ركنا وأغاث الخلق بإمام هدى، حسن سيرة، وصفي سريرة، فراق صورة ورق معنى، وجمع قلوبهم عليه فلم يستنكف عن الإنقياد إلية أعلى ولا أدنى ... " فالمستقرئ للنص السابق يدرك مدى سهولة الألفاظ المستخدمة في التعبير[1].

ومن أمثلة ما جاء في رسائله الإخوانية قوله في رسالة تقريض المقر أبي المعالي فتح الله : هذا وهو واسطة بين الملك ورعيته، والمتكفل لقصيهم يدرك قصده وبلوغ بغيته، والمسعد للمظلوم من عزائم توقيعاته بما يقضي بنصرته ... " ومثل هذا الوضوح نجده في الكتابة المقامية حيث يقول: " ... لقد ذكرت قوما راقني وصفهم وشاقني لطفهم، ودعاني طيب حديثهم وحسن أوصافهم، وجميل نعوتهم إلى أن أحل بناديهم وأنزل بواديهم، فجعل حرفتهم كسبي وصنعتهم دأبي، ليجتمع بالعلم شملي ويتصل بالإشتغال حلبي، فأكون قد ظفرت بمنيتي وفزت ببغيتي " فيلحظ القارئ أن هذه الألفاظ من السهولة بحيث يفهم معانيها كل من اطلع عليها بسهولة ويسر، والكاتب يحرص على ذلك كل الحرص، فبالإضافة لما يظهر لنا من السهولة في ألفاظه المستخدمة في كتاباته، فإنه يكثر الترجيع حول

[1] الذنيبات، المرجع السابق، ص324.

الموضوع ذاته في تنظيراته؛ من ذلك، ما أورده من وصايا بشر بن المعتمر للكتاب قوله: " اياك والتوعر فإنه يسلمك إلى التعقيد والقيد، وهو الذي يستهلك معانيك ويمنعك مراميك" و نستشف حد الفصاحة عنده من قوله :" المقصود من الكلام إنما هو الإفهام لا غير، فيجاب كل واحد بما يفهمه ولا يكاف بما لا يعلمه وخير الكلام ما جاد وأفاد" وينقل عن ابن الأثير قوله:" فإن أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله، وفهم العامة معناه وهكذا فلتكن الألفاظ المستعملة في سهولة فهمها وقرب متناولها والمقتدي بألفاظ وما تمتاز به من سلاسة وعذوبة، لا يتعارض مع كونها الفاظا جزلة، ويمثل على ذلك من كلام العرب وأشعارهم، وهذا ما الفاه الباحث في كتابات القلقشندي، فهي تجمع مع سهولة الألفاظ جزالتها دون أن تكون فضة غليظة، فمن ذلك قوله في بيعة:" فهي الملكة الداعية إلى ترك الكبائر واجتنابها والزاجرة عن الإصرار على الصغائر وارتكابها والباعثة على مخالفة النفس ونهيها عن الشهوات والصارفة عن انتهاك حرمات الله التي هي أعظم الحرمات الموجبة للتعفف عن المحارم والشجاعة التي بها حماية البيضة والذب عنها والإستظهار بالغزو على نكاية الطائفة الكافرة والفض منها" والمتتبع لألفاظ هذا النص من البيعة يلحظ الجمع بين الجزالة لتناسب جو البيعة المرتبة على خلع خليفة فتوجب الإتيان بألفاظ فيها من الجزالة والشدة ما يشي بأهمية الخلافة، وما يجب أن يكون عليه الخليفة ليناسب رتبتها، وعلى الرغم من ذلك كله؛ فإن ألفاظه حافظت على سهولة الفهم وقرب التناول[1].

أما من حيث الأسلوب في التركيب وصياغة الكتابة فقد امتاز بحرية التعبير في الأسلوب، إذ أنه يجمع بين مذهب النثر المطلق ومذهب النثر المسجع، وهي

[1] الذنيبات، المرجع السابق، ص326.

ظاهرة تكاد تعم على أدباء العصر المملوكي فإذا نظر الباحث إلى كتاباته النقدية يجده يبتعد عن السجع حتى يكاد لا يجد له في هذه الكتابات أثرا، كقوله:" ولما كانت الألفاظ عنوان المعاني وطريقها إلى إظهار أغراضها أصلحوها، وزينوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك أوقع في النفس، وأذهب بها في الدلالة على القصد ..." [1]واكثر ما نجد هذا الأسلوب المسجوع فهذا ما اتبعه الكاتب في انشائه الإبداعي حتى لا تكاد تجد عبارة تزل عن السجع، وما ذكرناه في دراسة السجع يغني عن التمثيل على أن الكاتب رضخ في بعض المواضع للسجع متكلفا إياه حتى ولو أوقعه في الخطأ كقوله:" وتتطلع به سعادة الجد من ملوك العدل في كل أفق نجما، وترقص من فرحها الأنهار فتنقطها شمس النهار بذهب الأصيل على صفحات الما" يلاحظ الدارس أن حرف الروي في السجعة الأولى هو الميم المتبوعة بالألف غير أنها في السجعة الثانية، جاءت الهمزة في كلمة (الماء) ويؤكد ذلك القرينة السابقة لها من قوله(فرحها الأنهر) وليناسب بين السجعتين في حرف الروي نجده يحذف الهمزة لتصبح (الما) وثمة ميزة امتاز بها القلقشندي وهي الجنوح إلى الاستطراد أحيانا، اذ يخرج عن الموضوع المتحدث فيه ثم يعود إليه، كان ترد قصة ليست لها كبير علاقة في صلب الموضوع ولكنه يدخلها فيه لينثني عند الانتهاء منها لموضوعه الأصلي، من ذلك في حديثه عن كيفية انتفاع الكاتب بعلوم البلاغة، فيأخذ في الحديث عما يحتاجه الكاتب من معرفة أسماء من يضرب بهم المثل في البلاغة، فيقول:" ... ونحوه من الحدثين وكما قيل في عي باقل" فيسرد القصة ثم يعود قائلا" وكما عرفت أئمة الصناعة ويذكرهم

[1]القلقشندي: صبح الأعشى، ج2، ص193.

وإضافة لما امتاز به أسلوبه من فنون بديعة باختلاف أنواعها، فإنه يلجأ أيضا إلى توظيف مفردات وعلوم اللغة المختلفة، على سبيل المقارنة والتورية بها وغير ذلك، من سبل التوظيف ، ويقول القلقشندي في هذا:" غير خاف أنه إذا مهر فيها وعرف طرقها، أتى بالسحر الحلال ... ثم كما يحتاج إلى هذه بطريق الذات، كذلك يحتاج إليها بطريق العرض من جهة المعرفة بالبلغاء، أن ضرب بهم المثل في البلاغة ... وأما ما يحتاجه من ألفاظ أهل الصناعة فلأنه ربما ورى بها في تفاصيل كلامه ونحو ذلك"، لقد سَخَّر القلقشندي ألفاظ مختلف فروع اللغة من نحو وصرف وعروض وغيره، كما وأن التوظيف جاء في مختلف أنواع الرسائل، التي كتبها ومما جاء في الرسائل الإخوانية، قوله في مقطوعة نظمها لجمال الدين محمود القيسراني:

لم يغف عن حاجتي حتى انبهه وكيف يغفو وفي المعروف كم سهرا

جعلته مبتدأ في رفعه خبري وعادة المبتدأ أن يرفع الخبرا

يلاحظ الدارس للبيت الأخير أن الكاتب استطاع أن يوظف قضية رفع المبتدأ للخبر بمهارة وسلاسة يشعر معه أن الكاتب لم يعمل جهده في الصناعة وجلب المفردات بل إنها جاءت عفو الخاطر ومما جاء في باب الإخوانيات نثرا قوله في تقريض صاحب الديوان:" هذه الرتبة بالمحل الأرفع، والمنزلة التي لا تدافع ولا تدفع، والمكان الذي تفرد في صدارته فكانت كالمصدر لا يثنى ولا يجمع" فيلاحظ توظيفه لصفة من صفات المصدر، وهي أنه لا يثنى ولا يجمع وقارن بها صاحب الديوان في مكانته، إذ هو المركز الذي لا يشغله أكثر من فرد واحد في ذات الوقت[1].

[1] الذنيبات: مرجع سابق، ص329.

وثمة طريقة أخرى عمد إليها الكاتب في استخدام الألفاظ، وهي طريقة التورية وكان ذلك في المفاخرة التي كتبها بين العلوم:" وأتيت من طويل الكلام بما لا طائل تحته فثقل قولا، وجئت من بسيط القول بما لو اقتصرت منه على المتقارب لكان بك أولى" وواضح استخدامه لأسماء البحور(الطويل، والبسيط والمتدارك)، والمعنى القريب أنه يتحدث عن هذه البحور الشعرية التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولكن المعنى البعيد: هو الإنقاص من قيمة علم العروض، الذي يتهمه علم القافية أنه وصف نفسه بصفات هي أكثر مما يستحق.

يقول شوقي ضيف بعد عرضه لجزء من مقامة القلقشندي:" ولعل خصائص صوت القلقشندي ولغته قد اتضحت لنا تماما فهو كمعاصريه يستخدم السجع ويوشيه بمحسنات البديع وفي مقدمتها، الجناس والطباق والتورية، ونحس عنده بطواعية العبارات المسجوعة، ومرانه على استخدام الوان البديع دون أن تشعر بأي ثقل أو أي عبارة أو كلمة مستكرهة"[1].

2ـ المصادر التي اعتمد عليها القلقشندي.

استمد القلقشندي مادته من مصادر عاش مؤلفيها في العصر الذي كتبوا فيه مما يرفع من شأنها في تحقيق النظم السياسية والإدارية والمالية والحربية والقضائية، تمثلت في طائفة كبيرة جدا من المصادر التي يصعب إحصاؤها أو الإلمام بها حيث أن هذه المصادر لا تقل عن 100 مصدر قد تزيد عن هذا العدد نذكر منها[2]:

1- ذخيرة الكتاب لابن حاجب النعمان.

2- حسن التوسل في صناعة الترسل لشهاب الدين محمود الحلبي.

[1] الذنيبات: مرجع سابق، ص322.

[2] حكيمة بومريق، مرجع سابق، ص22.

3- المثل السائر لابن الأثير.

4- الصناعتين لابن هلال العسكري[1].

5- كتاب قوانين الدواوين لابن مماتي.

6- التذكرة لأبن الفضل الصولي.

7- كتاب الأم للشافعي.

8- العلم والدواة لمحمد بن علي.

9- الملل والنحل للشهر ستاني.

10- العقد الفريد لابن عبد ربه.

11- أدب الكاتب لابن قتيبة.

12- صناعة الكتابة لأبي جعفر النحاس.

13- الأحكام السلطانية للماوردي.

14- فضائل العرب لابن أبي عبيدة.

15- نزهة المشتاق للإدريسي.

16- البيان والتبيين للجاحظ[2].

17- حياة الحيوان للمدميري.

18- كنز الكتاب لكشاجم.

19- تقويم البلدان لصاحب حماه.

20- عجائب المخلوقات لا بن الاثير.

21- معالم الكتابة لابن شيث.

---

[1] عبداللطيف حمزة : مرجع سابق، ص52.

[2] حكيمة بومريق: مرجع سابق، ص23.

22- المسالك والممالك لابن فضل الله العمري[1].

هذا بالإضافة إلى كتب أخرى لم يذكر القلقشندي مؤلفيها منها: الروض المعطار مواد البيان رسم المعمورة تاريخ صفد، والقانون، الهناء الدائم بمولد أبي القاسم، تاريخ النيل كتاب الأطوال الدار الملتقط وغيرها من الكتب التي يحتاج إليها صاحب كتاب صبح الأعشى في كل علم من العلوم التي ذكرها في كتابه كعلم التاريخ والجغرافيا والأدب والكتابة والأنساب، وغيرها من العلوم[2].

وبعد فهذا كل ما أمكن أن توحى به المصادر التي اشارت الى ابى العباس القلقشندي، وهذه المعلومات التي نقدمها قد تمد القارئ بصورة من حياة هذا الرجل الذي وقف حياته على العلم والأدب لم تشغله أعباء الوظائف الحكومية عن السير في هذا الطريق بخصى ثابتة يكمل بعضها بعضا وتؤدي في نهايتها الى هذه الكنوز العظيمة التي تركها لنا وهي كنوز التي كان حليفا أن يخلد في التاريخ كما خلد الكثيرون من أمثاله.

[1] عبداللطيف حمزة، مرجع سابق، ص53.

[2] حكيمة بومريق : مرجع سابق، ص23.

الخلاصة:

بعد دراستنا لهذا الفصل يتضح لنا أن حياة القلقشندي مرّت بثلاثة مراحل:

الأولى مرحلة النشأة والتعليم حيث تلقى مختلف علوم اللغة العربية والأدب على مشهوري العلماء في الإسكندرية، وأجازه في هذه المرحلة بعض العلماء في الفقه والحديث وغير ذلك من العلوم.

والمرحة الثانية جلس فيها للتدريس وتعليم الناس الفقه واللغة والادب حيث تميز بحبه لمهنة التدريس على القضاء، وهذا حال الكثير من علمائنا القدماء الذين كانوا يفضلون أن يكون مدرسين وأساتذة على أن يكونوا قضاة وحاكمين.

وفي المرحلة الثالثة بدأ فيها بتأليف الكتب خاصة في الفقه وشرح الكثير من المختصرات والمتون العلمية، ثم انتقل الى تأليف كتابه المعروف بصبح الاعشى والذي يعتبر من أهم وأفضل مؤلفات القلقشندي حيث يحتوي على أربعة عشر مجلداً.

الفصل الثاني: التعريف ببلاد السودان

المبحث الأول: أصل التسمية والموقع

المبحث الثاني: الدراسة الطبيعية لبلاد السودان

المبحث الثالث: ممالك بلاد السودان في كتاب صبح الأعشى

المبحث الأول: التسمية و الموقع

تطلق كلمة سودان على المنطقة المحصورة بين المحيط الأطلسي غربا والمحيط الهندي والبحر الأحمر شرقا والصحراء الكبرى شمالا وخط عرض 10 جنوبا وشمال خط الاستواء

ويعتبر العرب هم أول من أطلق لفظ سودان على الشعوب والقبائل التي تسكن هذه المنطقة [1]

وأصل التسمية مستوحى من لون البشرة التي يتميز بها سكان تلك المنطقة وهو ما ذهب اليه الجاحظ في حديثه عن أهل السودان في كتابه فخر السودان على البيضان [2]، بينما الرحالة والمؤرخين فقد جاءت نصوصهم متفاوتة في الوصف والتدقيق على حسب قراءتهم الزمنية ومصادر معلوماتهم ومن بين هؤلاء نذكر ابن عبد الحكم (ت 257 م / 868م) والذي تكلم عن بلاد السودان وخصوصا في حديثه عن الحملة الإسلامية التي جاءت إلى بلاد السوس وجنوب المغرب الأقصى ثم بلاد السودان " وغزا عبيد الله بن عبيدة الفهري السوس وأرض السودان فظفر بهما ظفرا لم ير مثله وأصاب ما شاء من الذهب وكان فيما أصاب جارية أو جاريتان من جنس البربر أجان " [3]. بينما يعرفها الإصطخري (ت 346 ه .957م) وبلدان السودان بلدان عريضة إلا أنها قفرة قشة جدا ولهم في جبال لهم عامة ما يكون في بلدان الإسلام من الفواكه إلا أنهم لا يطعمونه ولهم أطعمة يتغذون بها من فواكه ونبات وغير ذلك مما لا يعرف في بلدان الإسلام . ويقال أنه ليس في أقاليم السودان من الحبشة والنوبة والبجة وغيرهم إقليم أوسع منه ويعتدون إلى غرب البحر المحيط مما يلي الجنوب وما يلي الشمال على مفازة تنتهي إلى مفاوز

---

[1] كانت تعرف الأقوام التي تسكن بلاد السودان قبل أن يطلق عليها اسم بلاد السودان من طرف العرب نجيرتا نسبة الى نهر النيجر وقد أطلق على هذا الاقليم نيل الجناس السوداء نسبة الى بشرة سكانها ،وكان ذلك من طرف المؤرخ الروماني بليني سنة 115م وكان يقصد بلاد السودان الأوسط و والغربي ثم جاء العرب وعمموا اسم بلاد السودان على جميع سكان بلاد ما وراء الصحراء. أنظر ابراهيم طرخان ، الاسام واللغة والثقافة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ،1969،ص 02 . ينظر : قدروي عبد الرحمان ، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 19،10ه /15،16 م الدوافع والنتائج ،مذكرة ماجيستير ، اش مبخوت بودوية ، جامعة تلمسان ،2011، ص 20

[2] الجاحظ عمر بن بحر ، فخر السودان على البيضان م ن رسائل الجاحظ ،القاهرة 1906م ص 64

[3] ابن عبد الحكم، فتوح مصر المغرب ، تح ،عبد الله أنيس ، دار النشر للكتاب البناني ، بيروت لبنان ،1964، ص 22

مصر من وراء الواحات ثم على مفاوز بينها وبين أرض النوبة ثم على مفاوز بينها وبين أرض الزنج وليس لها اتصال بشيء من المماليك والعمارات إلا من وجه المغرب لصعوبة المسلك بينها وبين سائر الأمم ".[1]

أما ابن حوقل (ت 367 ه 977م) فتحدث عن لفظ السودان في كتابه صورة الأرض " وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلدهم في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف غير أن له حدا ينتهي إلى البحر المحيط وينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب وحدا برية بينه وبين أرض مصر على ظهرالواحات ".[2] كما وصفه المقدسي (ت 380 ه /990م) في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم فحدد من خلال بلاد السودان في قوله " وأما أرض السودان فإنها تتاخم هذه الإقليم الثاني من مصر من قبل الجنوب وهي بلدان مقفرة واسعة وهم أجناس كثيرة "..[1]

وقد أطلق البكري (ت 487 ها 1095م) كلمة السودان في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي على ذلك الجزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النوبة على النيل شرقا واعتبر مدينة سلجماسة مدخلا إلى بلاد السودان .[2] والقزويني (ت 682 ه /1283 م) وصفها بأنها بلاد كبيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط .[3]

أما أبي الفداء عماد الدين اسماعيل ابن أحمد (ت 732 ه/1331م) بأنها جهة الجنوب وأنها بلاد كثيرة الأجناس مختلفة من الحبش والزنج والتوبة والتكرور والزيلع ".[34] أما القلقشندي صاحب كتاب صبح الأعشى (ت 821 م/1418م) أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء ومن الشرق بحر القلزم يقابل بلاد اليمن وله من الشمال براري تمتد ما بين مصر وبرقة وبلاد العرب

[1] الآصطخري أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي ، المسالك والمماليك ،وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ، 1961 ، ص 34
[2] أبو القاسم بن حمقل ، صورة الأرض ،دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، 1979 ، ص15
[1] المقدسي شمس الدين أبو عبد الله ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط3 ، مكتبة مدبولي القاهرة ، 1991، ص 314
[2] أبو عبد الله البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، وهو جزء من المسالك والممالك ،دار الكتاب الاسلامي بيروت لبنان ،ص 180
[3] القزويني محمد ابن زكرياء أثار البلاد وأخبار العباد ،دار صادر بيروت لبنان ، ص 24
[4] أبي الفداء عماد الدين بن اسماعيل بن أحمد ، تقويم البلدان ، دار صادر بيروت لبنان ، ص ص 2، 3

المغاربة من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط .[5] أما ابن خلدون فيقول و السودان أصناف شعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والتوبة يليهم الزغاوة و يليهم الكانم ويليهم من غربيهم كوكو و بعدهم التكرور ويتصلون بالبحر المحيط الى غانية [6].

وأورد عثمان بن فودي[7] عن طول أرض السودان نقلا عن القسطلاني في شرح البخاري على أن ... كتاب القصد والأمم إلى معرفة أنساب الأمم قال إن مقدار المعمور من الأرض مائة

حزام وعشرون سنة وتسعون ليأجوج ومأجوج واثنتا عشرة للسودان وثمانية لروم وثلاثة للمغرب وسبعة السائر الأمم .[8]

ومن خلال هذه التعاريف لمصطلح السودان ورغم تباينها إلا أنها اتفقت على تحديد المدلول اللفظي لكلمة سودان التي تطلق على الأقوام الذين يقطنون الحزام السوداني جنوب الصحراء الكبرى ومن هذا التعريف الجامع لمدلول بلد السودان تم تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء رئيسية وهي :

[5] القلقشندي أبو العباس أحمد ،صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر ،القاهرة 1963ص 275

[6] ابن خلدون عبد الرحمان ديوان العبر والمبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار صادر بيروت لبنان 410/6

[7] هو عثمان بن محمد فودي (معنى فودي : هوالفقيه بلغة الفولاني) بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غوطو ينتمي الى قبائل الفلان في الاقليم الهوسا ، ولد بمارة غوبر شمال اقليم الهوسا سمنة 1169ه/1754م قاد عثمان بن فودي حركة اصلاحية في بلاد السودان الغربي والوسط متأثرا لفكر الشيخ عبدالكريم المغيلي توفي سنة 1837/1253. وهو أب مؤرخ سوداني محمد بيللو صاحب كتاب انفاق الميسور فبي أخبار علماء التكرار أنظر بلعراف التكني ، ازالة الريب والشك والتفريط من أهل التكرار والصحراء وأهل شنقيط ،تح الهادي الدالي ،مركز جهاد الليبيين طرابلس ليبيا ط1 ،2000،صر181.أنظر المليان عائشة المسعود ،الدور الدين والسياسي لقبائل الفولاني في السودان الغربي خلال الفترة من القرن 15الى نهاية القرن 19،مذكرة ماجيستير في التاريخ أكاديمية الدراسات العليا مدرسة العوم الانسانية ،ليبيا ،2007،ص 115

[8] محمود مبروك فاطمة ،العمائل الاسلامية في امبراطورية السنغاي زمن الأسكين 898-1000ه/1492 -1591م أطروحة دكتوراه ، معهد البحوثو الدراسات الافريقية جامعة القاهرة ص 04

1- السودان الشرقي[1] : ويشمل مناطق وبلاد التيل وروافده العليا جنوب بلاد النوبة ويعرف عند العرب ببلاد الزنج وهذا القسم كان له ارتباط وثيق ببلاد العرب والمسلمين بين القرن الثالث والسادس الهجريين .

2- السودان الاوسط [2]**-:** ويشمل حوض بحيرة تشاد والمناطق المحيطة بها في افريقيا الوسطى

3 - السودان الغربي الاوسط [3]**(نيجيريا).** : ويشمل حوض نهر السينغال والمناطق المحيطة به وغامبيا وفولتا العليا والنيجر ويمكن القول أن مصطلح السودان الغربي هو ذلك المصطلح الذي أطلقه الجغرافيون العرب على المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الأطلسي غربا وبحيرة كوري (بحيرة تشاد) شرقا وجنوب الصحراء الكبرى شمال خط الاستواء بين خطي عرض 11 و17 درجة شمالا وتمثل هذه المنطقة المجال الموازي لبلاد المغرب وتفصل بينهما الصحراء الكبرى.

وبذلك فإن هذه المنطقة تمتد بين خط الاستواء جنوبا ومدار السرطان شمالا وهي منطقة شبه استوائية مرتفعة الحرارة تكثر بها الأمطار ويجري بها نهري السينغال والنيجر . [4] وتبلغ هذه المنطقة في مساحتها حوالي سبعة ملايين كيلومتر مربع ، وقد شهدت قيام ثلاث دول هي مملكة غانة ثم تلتها مملكة مالي ثم مملكة سنغاي، وهي تمثل اليوم عدة جمهوريات هي مالي، النيجر، السنيغال،غامبيا، غينيا بيساو، وغينيا كوناكري، سيراليون ليبيريا، ساحل العاج، بوركينافاسو، الطوغو، بنين ،وجزء من نيجيريا، وجزء من موريتانيا."[5]

أما مصطلح بلاد تكرور[6] ورغم اختلاف المصادر العربية في تحديده أهو جزء يشمل مدينة أو قبيلة أو جهة من بلاد السودان الغربي، أم هو نفسه اسم من أسماء بلاد

---

[1] الشيخ الأمين محمد عوض الله ،العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الاسالاميتين مالي وسنغاي ، دار المجمع العلمي ، جدة ط 1979 ،1،ص 41

[2] زبدية عبد القادر ،مملكة سنغاي في عهد الأسقين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، (د ت) ص15

[3] زبدية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأروبي في افريقيا جنوب الصحراء ،دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1989،ص11

[4] فرياني بطل شعبان محمد ، العامة في صنغي (869-1000ه/1464 -1591م) مذكرة ماجيستير ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، 2011،ص ص3,4

[5] شترة خير الدين ، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصطلح الثائر وفكره الاصلاحي في توات والسودان الغربي دار ابن طفيل ،الجزائر ،2012، ص 258

[6] وهناك مسميات أخرى لتكرور منها تكارير وتكارنه ومفردها تكروني أنظر ولد البراء يحي ، مجموعة الفتاوة الكبرى المكتبة الوطنية ،نواكشط ،2009،مج1 /49

السودان الغربي، فنجد النصوص متفاوتة فيما بينها في ذلك. وأول نص الذي ذكر فيه اسم تكرور يرجع إلى البكري (ت 487 هـ / 1095م) الذي أشار إليه واعتبره مدينة من مدن بلاد السودان الغربي تقع قرب نهر السينغال، كان أهلها على الشرك يعبدون الأصنام وملكهم يسمى وارجابي بن راسين (ت432هـ /1040م) والذي أسلم وحمل أهل التكرور على الإسلام وأقام شرائع الدين الإسلامي .[1] وحذ حذو البكري القزويني (ت ق 7هـ /13م) والذي ذكر التكرور على أنها مدينة لا سور لها وأهلها مسلمون وكفار والملك فيها من المسلمين وذلك في القرن السابع الهجري [2]. واعتبرها ياقوت الحموي (ق 7هـ/ 13م) التكرور يرجع إلى قبيلة من قبائل السودان في أقص جنوب المغرب، وأهلها أشبه الناس بالزنوج،[3] وهذا الوصف يخرج التكرور من بلاد السودان الغربيويرجعه إلى بلاد المغرب، وأن هذه القبيلة هي من قبائل السودان تسكن جنوب المغرب، وهناك من حصره على الجهة مثل ابن سعيد المغربي الذي أورد أن لفظ التكرور يشمل نهر السنغال والذي سماه النيل ". [4]ولم يحدد الجهة بالضبط بل نسبه إلى مر السنغال فقال وأما في عصرنا فما على شاطئ النيل من بلاد تكرور مدينة إلا وقد دخلها الإسلام وجميعها لسلطان تكرور وقاعدها على جانبي النيل وأسمها تكرور وبها عرفوا " [5].

فقد أطلق التخصيص والمراد من بلاد التكرور إلا أنه لم يحدد أي جانب يقصد من جوانب فر النيل والمعروف أن بلاد التكرور على الحافة الشمالية لنهر السنغال، وبالتالي يعتبر ابن سعيد | مطابق للصواب نوعا ما . بينما ميز البعض الأخر لفظ السودان الغربي عن لفظ التكرور ومنهم ابن فضل الله العمري صاحب كتاب مسالك الأبصار الذي أورد

[1] البكري ،المصدر السابق ،ص 268

[2]القزويني، المصدر السابق ،ص 26

[3] الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ،معجم البلدان ،تح فريد عبد العزيز الجندي ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 ،1990،ص376

[4] اطلق البكري على نهر النيجر والسنغال نيل وأشار أنه يصب في البحر المحيط . ويصف الطريق من غانة القديمة وهو الطريق الشرقي بأن المسافر يقابل النيل الذي يخرج من أرض السودان وهنا يقصد منطقة انحناء نهر النيجر ولا يميز البكري في تعريفه ومصطلحاته بين نهري النيجر والسنغال .لذلك أوقع الجغرافيون الذين تبعوه في مغالطات ،وأصبحوا يرون أن النيل هم أم البحار الافريقية حتى أن ابن بطوطة عندما وصل نهر النيجر ظن أنه احد روافد النيل المصري ولهذا وقع عليه الالتباس للمزيد أنظر فرياني بطل شعبان ،المرجع السابق ، ص40

[5] ابن سعيد أبو الحسن علي ابن موسى المغربي ، كتابه الجغرافيا، تح ، اسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ، 1970،ص19

نص في هذا عند حديثه عن سلطان مالي منسا موسى ورحلته المشهورة للحج في قوله ويغلب على سلطان مالي عند أهل مصر سلطان التكرور ولو سمع هذا أنفا منه، لأن التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته والأحب إليه أن يقال صاحب مالي لأن الإقليم الأكبر وهو به أشهر.[6] ويفهم من كلام ابن فضل الله أن التكرور هو إقليم من أقاليم بلاد السودان الغربي مثله مثل إقليم مالي قاعدة الملك، وإقليم كوكو واقليم كوكيا، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال، لماذا عرفت هذه المنطقة ببلاد التكرور عند المشارقة بدل بلاد السودان الغربي .

كما نجد هذا الاسم في بلاد الحرمين ومنه إلى مصر ولعل ذلك راجع لركب الحجيج الذي كان يمضي من بلاد التكرور ويمر بجميع جهات بلاد السودان الغربي فأطلق الجزء على الكل وأشيع باسم التكرور وهناك من يرجع المصطلح (التكرور) إلى الذين كانوا يتوجهون للحج عدة مرات

وهذا نتيجة تكرارهم للحج عدة مرات

فتسموا بالتكرور لتدليل على تنقيت قلوبكم وأعمالهم. [1]وبالتالي يكون المصطلح لا يطابق بلاد التكرور .

كما نجد هذا الخلط عند ابن خلدون في كتابه بين المعنى الجغرافي لتكرور وبين المعني البشري للمصطلح، وقد وطن التكرور في منطقتين مختلفتين أحدهما شرق كوكو والأخرى غرب كوكو [2].

بينما نجد اليرتلي يضع تعريفا لبلاد التكرور يعد الأوسع حيث اعتبره هو ذاك الإقليم الواسع الممتد شرقا إلى أدغاع ومغريا إلى بحر بني الزناقية وجنوبا إلى بيط

[6] العمري ابن فضل الله ، مسالك الابصار في مماليك الأمصار ، معهد تاريخ العلوم العربية الاسلامية فرانكفورت،1988،ص 34
[1] حسن عبيد عبد الظاهر ، الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الفولاني من مطلع القرن 12ه حتى القرن19م ، جامعة الامام محمد سعود الاسلامية المملكة العربية السعودية ،1981،ص 37
[2] ابن خلدون، المصدر السابق و6،/199

وشمالا إلى أدرار [3]. إلا أن التعريف الذي يعد كافيا ومعبرا عن بلاد التكرور هو الذي أفرده محمد بللو بن عثمان فودي صاحب كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور إذ يقول أعلم أن هذا الاسم الذي هو التكرور هو الإقليم الغربي من الجنوب السوداني على ما فهمنا من تعبيرهم في التواريخ وهذا الاسم شائع في الحرمين ومصر والحبشة [4]

أ- السكان :

تنتشر في بلاد السودان الغربي، عدة قبائل وشعوب ترجع في أصولها الأولى إلى أصول زنحية أو عربية أو بربرية، وقد وصلت إلى هذه المنطقة عن طريق هجرات متعددة نتيجة للظروف الطبيعية

والمناخية، فاستقرت بها، واندمجت بعضها البعض بالمصاهرة والحماية القبلية في بعض الأحيان ومن بين هذه القبائل ما يلي:

1- **قبائل الماندي (الماندجو)[5]:** تنتشر هذه القبائل في منطقة واسعة تمتد من المحيط الأطلسي حتى النيجر خاصة في دولة مالي والسينغال ، وغنيا وغامبيا ، وتفرع الماندي إلى عدة فروع منها السوننك و البمبارة.

- السونك وهي كثيرة الانتشار في بلاد السودان الغربي، حيث تتمركز في الأطراف الجنوبية وقد اختلطوا مع قبائل الفلان وهم يتميزون بقوة جسمانية كبيرة، اعتنقوا الإسلام وأصبحوا من الدعاة حيث أحدثت، العقيدة الإسلامية اثر عميق في حياتهم وتنظيماتهم الاجتماعية. البمبارة: هي من قبائل الماندي التي اختلطت بقبائل الفلان حيث تغيرت ملامحهم الجسمانية وتعيش هذه القبائل بدولة مالي بصفة أكثر وهي تشتغل على الرعي

[3] البرتلي محمد بن أبي بكر الصديق ،فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، تح محمد حجي ومحمد ابراهيم الكتاني ، دار الغرب الاسلامي ،بيروت لبنان1981،ص26

[4] بللو محمد بن عثمان بن فودي، انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور تح بهيجة الشادلي منشورات معهد الدراسات الافريقية ، الرباط ، المغرب ، 1996،ص44

[5] ماندي أو ماندیجو أو مانكا أو ماينانج أو ماندجا أو ماندج كلها تسمية واحدة لهذه القبائل ذات الأصل واحد وقد أطلق البرتغاليون هذه التسميات عليهم ،لكن الفولانيون والتكاريرة والفرنسيون أطلقوا عليهم المالنك .أما قبائل الهوصا فقد أطلقت عليهم وتقارة .اراهيم طرخلن ،مدينة مالي الاسلامية ،الهيئة العامة المصرية للتأليف القاهرة ،1973،ص 26

والزراعة, تعتبر قبائل الماندي مؤسسو دولتي غانة ومالي" 2- قبائل السنغاي: تسكن قرب حدود الغابات الاستوائية وقد امتدت مساكنهم على طول عمر النيجر، حيث امتهنت الزراعة وصيد الأسماك ، تأسست أول دولة لهم في القرن الأول الهجري السابع الميلادي وكانت عاصمتها مدينة كوكيا، قرب نهر النيجر الأدنى، وهي لا تبعد عن مدينة جاو الحالية سوى مائة وخمسين كلم. وقد انتشر الإسلام في بلاد السنغاي نتيجة لامتزاجها مع جمهوريات مالي، النيجر نيجيريا، القبائل المهاجرة من الشمال الإفريقي وتعيش قبائل السنغاي في وهي تتحدث لغة السنغاي التي كانت تكتب بالحرف العربي .

3- قبائل التكرور والسرير : وهم ينتشرون بالمنطقة الساحلية في دولة السنغال الحالية مع قبائل الولوف الذين يشبهوشم في الصفات والحرف 2 وهم خليط بين قبائل الماندي والفلان وهم من السكان الأصلين لمنطقة فوتا السنغالية ، اعتنقوا الإسلام في عهد المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، ويعتبر شعب التكرور أول من اعتنق الإسلام في منطقة الساحل الإفريقي ؟ يعتمد نشاطهم على النشاط الفلاحي والحرف اليدوية

4- قبائل الولوف: وهم يتواجدون في السنغال إلى جانب التكرور، ويتخذون من النشاط الزراعي حرفة رئيسية لهم حيث يزرعون القطن، والذرة، والفول السوداني كما يمتهنون الحرف الأخرى صناعة المنسوجات القطنية، والصناعات اليدوية البسيطة القائمة على المعادن ، دخلت قبائل الولوف الإسلام مبكرا على يد القبائل العربية والفلان والتكرور، وكان لهم دور بارز في نشر الإسلام ضمن أراضيهم، ويتكلمون لغة الولوف التي تكتب بالحرف العربي .[1]

5- قبائل الموشي: وهم يشكلون شعب فولتا العليا المحاذية لنهر النيجر من جهة الغرب، ويتكلمون لغة الجور، ولا يزال معظمهم وثني يمجدون الشمس والأرض والأجداد،

[1] عائشة مسعود المليان ،المرجع السابق ،ص09

ويمارسون الزراعة ، أقامت هذه القبائل مملكة وثنية قوية في منحى نهر النيجر جاورت الممالك الإسلامية في كل من دولة مالي والسنغاي، واستمرت في وثنيتها حتى جاهدها سلطان صنغاي الأسكيا محمد في تشكل قبائل الموشى الغالبية العظمى لسكان بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي جمهورية بوركينا فاسو اليوم

6- قبائل الفولان:[2] من أكبر الشعوب في بلاد السودان الغربي، تنتشر بين ساحل المحيط الأطلسي وبحيرة تشاد حتى الكامرون وقد اختلف المؤرخون في أصل الفلانين فمنهم من يرجعه إلى الأصل العربي، ومنهم من يرجعه إلى الفرس الذين نزحوا من آسيا وهناك من يرجعه إلى أصول أثيوبية" وهناك من يقول أنهم نتيجة اختلاط الزنوج بالعرب واليربر "، اعتنق هذا الشعب الإسلام في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي ولغتهم تدعي الفولا وكانت تكتب بالحرف العربي، وهم يحترفون تربية البقر والرعي والزراعة.

- **قبائل الطوارق:** اختلف المؤرخون في تسمية الطوارق بهذا الاسم فمنهم من يقول أنهم سموا بالطوارق نسبة إلى طارق بن زياد [1]، ومنهم من يرى أن التسمية، جاءت نسبة لطرقهم الصحراء وتوغلهم فيها، وهناك من يرى أن التسمية أطلقتها عليهم الشعوب المجاورة لهم نظرا لكثرة ارتبادهم الصحراء أما أصولهم فقد اختلف فيها فمن المؤرخين، من يرجعها إلى صنهاجة التي ترجع نسبها إلى حمير من اليمن وصنهاجة قبائل كثيرة منها المتونة وجدالة ومسوفة، ويعتبر الطوارق من أكثر القبائل التي انتشرت في الصحراء حيث لا يستقر لهم مقام في مكان، محدد، ويعتمدون على الترحال لذلك يعيشون في عدة أماكن تتقاسمها عدة وحدات سياسية مستقلة اليوم مثل شمال مالي ، وموريتانيا ، شمال النيجر وبوركينا فاسو، وتشاد ، وجنوب غرب ليبيا وجنوب شرق الجزائر .

[2] فيجي جي دي ، تاريخ غرب افريقيا ،ترجمة وتعليق وتقديم السيد يوسف نصر ،دار المعارف القاهرة ،1982،ص78-79
[1] الهادي المبروك الدالي ،التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا في ما وراء الصحراء، المرجع السابق، ص 216

أدى الطوارق دورا مهما في نشر الإسلام في الصحراء وبلاد الساحل الإفريقي حيث عرفوا عند

ممالك وقبائل السودان بالقوة والشجاعة ، كما أدوا دورا مهما في التجارة الصحراوية التي كانت بين بلاد المغرب وبلاد الساحل الإفريقي .

8- قبائل العرب: ينتشر العرب في كل من شمال مالي والنيجر وتشاد ويمثلون النفوذ الأكثر في شنقيط بموريتانيا ، وقد جاءوا إلى بلاد السودان الغربي، عن طريق الهجرات والتجارة، وحيث دخلوا منطقة النيجر دخولا كبيرا في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر ميلادي ، وقد أدت هذه القبائل العربية دورا مهما في نشر الإسلام والحضارة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي، وانصهرت في بقية المجتمع السوداني، ومن أهم هذه القبائل في عرب المعقل من القبائل الحسانية مثل الرقيبات أولاد دليم، الجكاكنة، البرايشن، مشظوف، أهل أروان، أولاد غلان، أولاد يعقوب بالإضافة إلى قبائل كننة. | د - الخلفية التاريخية : قامت في بلاد السودان الغربي عدة ممالك إسلامية كانت لها مساهمة فعالة في نشر الإسلام والحضارة العربية الإسلامية في هذه المنطقة كما قامت بدور في ربط العلاقات بين دول الشمال الإفريقي ومصر وبلاد السودان .

المبحث الثاني :الدراسة الطبيعية

المطلب الأول : التضاريس

1.التضاريس: تتشكل إفريقيا الغربية من هضبة عملت العوامل الطبيعية في تغيير نشرتها الخارجية، ففيها الصحاري الواسعة والأودية الحصبة والسهول المثبتة، ومند تضاريسها من تشاد إلى الأطلسي تنقسم من الشمال إلى الجنوب إلى الأقسام التالية:

1- المنطقة الشمالية: تقع بين الصحراء الكبرى شمالا إلى وادي النيجر الأوسط جنوبا، وهذه المنطقة صحراوية في أغلب مساحتها تتخللها بعض الهضاب والوديان والواحات والعيون.

2- المنطقة الوسطى: تمتد من بحيرة تشاد شرقا حتى منطقة FoutaToro فونا تورو السنغالية غربة وترتفع في وسطها هضاب النيجر. وفي هذه المنطقة سهوب واسعة ذات مراع خصبة

3- المنطقة الجنوبية، والمنطقة المشرفة على خليج غينيا وتضم عدة كتل جبلية أهمها Fouta Djallon فونا دجالون، تغطي هذه المنطقة الغابات الإستوائية الكثيفة وتكثر فيها السهول والوديان والأنهار الساحلية. ويدخل في إفريقيا الغربية القسم الأكبر من منطقة الساحل الشبه جافة والتي تقع جنوب الصحراء الكبرى ابتداءا من السودان شرقا وحتى المحيط الأطلسي غربة مرورا بالسنغال وموريتانيا ومالي وبوركينا فاسو والنيجر وأقصى الشمال الشرقي لنيجريا. تبلغ مساحة الساحل حوالي 4 مليون كلم مربع[1] ويؤلف هذا الإقليم منطقة عازلة بين الصحراء الكبرى ذات المناخ الجاف والمناطق الاستوائية الرطبة والتي تعرف باسم سافانا. وقد شهدت منطقة الساحل ابتداءا من القرن الثامن الميلادي ظهور مراكز سياسية وثقافية تشطة بسبب أهميتها الاستراتيجية لعبور التجارة إلى إفريقيا الشمالية.

[1] callot,y."sahil",Encyclopaedia of Islam,New,etitionm Le den:E.J.Brill.1995.v.VIII.p.837

تنحصر الجبال في المنطقة الغربية والشرقية من غرب إفريقيا ففي الغرب تعتبر فوتا دجالون أهم المناطق الجبلية وتمتد في كل من غينيا كوناكري) و غرب ليبريا وشمال سيراليون. ويعتبر جبل نيمبا Nimba - الذي يقع في جنوب غينيا كوناكري) قرب الحدود مع ليبيريا وساحل العاج - أعلى قمم جبال فوتا دجالون إذ يصل ارتفاعه إلى 1752م بينما يبلغ الارتفاع الوسطي في شمال هذه الجبال قرب حدود السينغال محو

1500م، أما المنطقة الوسطى من هذه الجبال فإنها تقوم في دولة توغو و متوسط ارتفاعها | هو 900م. أما في الشرق فتوجد مرتفعات آداماو Adamoua التي تقع في الكامرون ويبلغ معدل ارتفاعها حوالي 1035م)[2]

أما الشواطئ في إفريقيا الغربية فبعضها صخري والآخر رملي، ترتفع الشواطئ الصخرية في كل من موريتانيا والسنغال، أما الشواطئ الرملية فتبدا في غينيا بيسار) | وتنتهي في نيجريا مشكلة بعض الخلجان القليلة التي تؤلف مواني صالحة لرسو السفن مثل ابيدجان في ساحل العاج. أما الجزر فقليلة أهمها أرخبيل بيجاغوس Bijagos " قبالة ساحل غينيا بيساو) وجزر الرأس الأخضر وجزيرتي ساوتوم وبرنسيب (& Principe SaoTome).

المطلب الثاني : المجاري المائية

1. الأنهار: تعتبر كتلة فوتا جالون مصدرا رئيسية للمياه نظرا لكثرة أمطارها | ولطبيعة تركيبها الجيولوجي الذي يسمح بتخزين المياه. وتنبع من هذه الكتلة أكثر أنهار | إفريقيا الغربية، وأشهر هذه الأنهار:

2.نهر السينغال: يبلغ طوله حوالي 1600 كلم وينبع من وسط غينيا

كوناكري) ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة سان لوي السينغالية. القسم الأوسط | من هذا النهر صالح للملاحة وهو مصدر الخصب للأراضي التي يمر بها.

[2] Cameroon. Encyclopedia Amricana.1995.v.5.p.283

3. نهر النيجر: يبلغ طوله حوالي 4200 كلم وينبع من الحدود الغينية كوناكري) مع سيراليون يرفد هذا النهر كثير من الأنهار ويمر في كل من غينيا كوناكري) ومالي والنيجر حيث يئلف قسم من الحدود بين هذه الدولة وينين ثم يتجه إلى نيجريا ليصب هناك في دلنا كبيرة، ونهر النيجر صالح للملاحة وهو مصدر هام لصيد السمك، وقد قامت على ضفافه وخاصة في مالي حضارات أهم المدن الإسلامية التي برزت في غرب إفريقيا خلال الفترة التي سبقت الاستعمار الأوروبي

وبالإضافة إلى هذين النهرين هناك أنهار أقل أهمية مثل نهر كاسيانس Casthance | في السينغال ونهر غامبيا في دولة غامبيا وأنهار فولتا الأبيض والأحمر والأسود، والتي تقع في بوركينا فاسو. أما البحيرات فهي شبه معدومة باستثناء بحيرة فولتا في غاناء

نهر غامبيا : يعتبر طريقا مهما للمواصلات فهو صالح للملاحة لمسافة 456 كلم، ونقع القرى بعيد عن مجرى النهر وذلك بسبب وجود المستنقعات والغابات على ضفافه، وبنكون سطح غامبيا من وادي النهر والمناطق المحيطة به وهي السهول الحصبة ويعتبر مر غامبيا من أصلح الأعمار للملاحة فهو مدخل السودان الغربي وهو يخترق منطقة السافانا.[1]

نهر الكونغو : يعتبر الكونغو ثاني أنهار إفريقيا طولا بعد النيل ولكن كمية المياه التي تسقط على حوضه أكثر منها في النيل و لا يفوق الكونغو في ذالك إلا غفر الأمازون بأمريكا الجنوبية وينبع الكونغو من بحيرات بنجويلو وموبرو وتنجانيقا بواسطة حمري لوابولا ولوكوجا " طوله نحو 4700 كلم ومساحة حوضه نحو3,800.00كلم، گيسنغالي، ميناداگا، ئينساشا، برازافيل، بوماوتادي هيأهم المدن التي يرويها ، وأهم

[1] الحسن الوزان: وصف افريقيا ،ط2،ج2،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،(د.س) ص161-163

روافده شهر أو بنجيلي في الضفة اليمنى وكر كاساي في الضفة اليسرى و بواسطة نصر كاساي يمكن الاتصال بالنيل والسودان ويصلح هذا الشهر للملاحة.؟

- **الغطاء النباتي** : لقد ذكر الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا أن هذه البلاد لا تنبت إلا قليل من الحبوب كالدخن وحب أخر مستدير أبيض يشبه الحمص ولا يوجد بأوروبا أما الشعير والأرز والقطن فتوجد بكثرة ومن الامتيازات التي تتمتع بها منطقة أسفل غينيا، أمطارها ونباتاتها المعتدلة حيث نسمح بوجود حقل الذرة وأشجار البلح كما تشكل المنطقة الوسطى من شاطئ الذهب وشاطئ العاج والقسم الجنوبي الشرقي لغينيا أرضا خصية، وتشتهر بزراعة بعض أوراق النباتات وأشجار الموز والقهوة والأرز والحبوب ، فالمنطلق الأكثر صلاحا لوجود السكان توجد على الحدود الغابة الشمالية حيث تزرع الأرض التي تنتج لهم الأرز و شجر الموز والمانيوك وأشجار القهوة وغيرها[1].

المبحث الثالث : أهم المماليك ببلاد السودان

1 مملكة غانة: تعتبر أقدم الممالك في بلاد السودان الغربي، حيث تأسست حوالي 300م واستمدت اسمها من عاصمتها القديمة إقليم كوار الرملي جنوب موريطانيا الحالية واسمها كومبي صالح

وقد أسست هذه المملكة مجموعة من القبائل البربرية المغاربية وشعوب السوننك الربحية، خلال القرن الثاني الميلادي لتؤسس لنفسها بعد قرن من الزمن أسرة حاكمة وسعت نفوذها من نهر النيجر شرقا | إلى سواحل المحيط الأطلسي غربا، إلى حدود الصحراء الكبرى شمالا ، بلغت هذه المملكة أوج قوها وعظمتها خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، العاشر والحادي عشر الميلاديين، كما كانت لها صلات تجارية مع بلدان المغرب، وذلك يرجع إلى توسط موقعها الجغرافي فقد كانت تشغل رفعة جغرافية تفع عند الطرف الجنوبي لطريق القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى والتي امتدت

[1] دانيس يولم : الحضارات الافريقية تر : علي شاهين ، منشورات دار المكتبة الحياة ،بيروت (د.س) ص،116-120

بين سجلماسة في بلاد المغرب مارة بتغارة التي اشتهرت بمناجم الملح وكانت غانة تستورد القماش والمنتوجات الحريرية والنحاس والملح وتصدر الذهب والجلود

أما دخول الإسلام إلى غانة فقد كان منذ زمن مبكر يدل عليه وجود طائفة إسلامية ذكرها البكري عند وصفه لمدينة كومبي صالح، بان بما اثنا عشرة مسجدا وقد عاش فيها كثيرا من علماء الدين والطلاب وكانت اللغة العربية هي لغة التدريس ليس عند المسلمين فحسب بل في أنحاء الدولة * كما كان للمرابطين دور في ازدياد المد الإسلامي في هذه المملكة بعد أن أخضعوها لحكم الإسلام وأقاموا عليها حاكما مسلما.

ومنذ ذلك الوقت أصبح ملوك غانة مسلمين ، إلى أن سقطت هذه المملكة على يد قبائل الصوصو في القرن السابع الهجري الثالث عشرة الميلادي وفر مسلموا غانة إلى ولاتة حيت أقاموا بما مركزا تجاريا لهم سرعان ما ازدهر حتى صارت من أعظم المراكز التجارية في بلاد السودان الغربي .[1]

المظاهر الحضارية لغانة:

كانت مملكة غانة تمثل أروع الأمثلة في التسامح مع الديانات و الأجناس الأخرى فيذكر البكري بان العاصمة الغانية كانت تتألف من مدينتين واحدة يسكنها المسلمين و با12 مسجدا و الراتبون و والمؤذنون ومدينة الملك و المعروفة بالغابة لأنها محاطة بالأشجار، هي أكثر اتساعا من الأولى وموجودة على بعد ستة أميال من المدينة الأولى ويسكنها الكفار و ما الكهنة الوثنيين و دكاكيرهم

اي أصنامهم، كما يوجد بها سحرهم وقبور الملوك، والسجون الملكية المختبئة وراء الاشجار في الغابة لكي لا يعرفها اي احد. و با مسجدا للمسلمين الذين يفدون على الملك، و كان الملك يتخذ الكتاب و الوزراء و القضاة و المترجم و صاحب بيت المال من

[1] د الدكتور نور الدين شعبان 'محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي ،دار الجزائر ، (ب ط) ، ص 35-36

المسلمين لثقته بهم[2]. و هذا يمكن أن نقول بان مملكة غانة كانت لها عاصمتان الاولى سياسية و فيها مقر الملك و الوزراء ، و الثانية عاصمة تجارية يقصدها التجار المسلمين.[3]

و كان الملك عندهم رغم استبداده و احتكاره لجميع الصلاحيات إلا أنه كان حسبما ذكره البكري حسن السيرة و عادلا و محبا للمسلمين حيث يقول البكري: ((...و اسم ملكهم اليوم وهي سنة ستين و اربعمائة تنكامين، وولي سنة خمس وخمسين، و كان اسم ملكه قبله بسي و وليهم وهو ابن خمس وثمانين سنة و كان محمود السيرة محبا للعدل موثرا للمسلمين...))[4]

وكان الملك عندهم يورث ابن اخته و ليس ابنه او ابن اخيه حيث كان السودان يشكون في نسبة ابنائهم اليهم بينما لا يشكون في صحة نسبة ابن اختهم حسبما قاله البكري).[5] لذلك نجد أن الملك (مين) والملقب بتونكامين (اي المكلك مين) هو ابن اخت الملك بسي الذي سبقه و هو الذي خلفه على العرش [6]

وكان ملك غانة خلال القرن الحادي عشر قبيل غزو المرابطين قوي شديد الشوكة عظيم المملكة مهيب السلطان قادرا على تجنيد مائتي الف (200000 جندي منهم أربعون الف (4000) من الرماة، كما كان جيشه يملك كتيبة من الفرسان .[7]

أما مساكن الغائيين فكانت مصنوعة من الحجارة[8]، وهي المدينة الوحيدة من مدن السودان التي ذكرها العرب بأنها مصنوعة من الحجارة و شجر الصمغ، فقصر الامبراطور كان مكون من سور تحيط به من كل جانب أكواخ مصنوعة من الطين و

[2] البكري (أبو عبيد الله ت 387ه) : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ،دار الكتاب الاسلامي ،القاهرة ، د ت ، ص 175

[3] جوان جوزيف ،المرجع السابق ،ص 57

[4] البكري ، المصدر السابق ، ص 175.

[5] نفسه ، ص 175

[6] نفسه، ص 176

[7] Delafosse .Op .Cit .p 41

[8] Delafosse .Op .Cit .p 42

ذات سقف مخروطي مصنوع من القش، و كل ذلك محاط بسور ، وبالقرب من المحكمة الملكية وجد هناك مسجد للمسلمين الذين يزورون الملك)[9] كما يذكر الادريسي بأن قصر الملك في خانة الذي بني بعد ذلك خلال اسنة 510 للهجرة /116 ميلادية، أي بعد الفتح المرابطي الغانة، كان واثق الا بنيان محكم الاتقان، و زينت مساكنه بضروب من النقوش و الأدهان(أي الصباغة) و شمسيات الزجاج.[1] و كان الملك و ابن اخته ولي عهده هما فقط من يلبسان المخيط من الثياب، بينما يلتحف بقية الاناس ملاحف القطن أو الحرير كل حسب قدرته. وكان النساء في غانة يحلقن رؤوسهن.[2]

أما فيما يخص الفضاء فكان يتولاه الملك، حيث كان الملك يجلس على قبة امام الناس و تحبط به عشرة خيول يلبسوها الذهب، و وراءه يوجد حوالي عشرة غلمان يحملون في ايديهم الدرق والسيوف المصبوغة بالذهب. كما يجلس أمامه على الارض والي المدينة و الوزراء يحيطون به. و اذا دق الطبل أذن للناس بان يجتمعوا، بينما يجثو اهل دينه من الوثنيين على ركبهم و نثروا التراب على رؤوسهم كتحية للملك ، بينما يكتفي المسلمين بالتصفيق .[3]

ومما يذكره الادريسي عن عدل ملك غانة انه كان يمشي في ازقة العاصمة و يدور بين أزقتها ويتبعه قادة جيشه، يتفقد احوال الناس ، فمن كانت له مظلمة أو شكوى يقف بين يديه و يسمعه حتى يقضي مظلمته ثم يرجع إلى قصره وز يتفرق قادته، ثم يعود بعد الظهر عندما تخف درجة الحرارة

ليقوم بنفس الجولة مع قادته ليستمع بنفسه لشكاوي الناس، حيث كان يقوم بهاتين الجولتين كل يوم التحقيق العدل .[4]

---

[9] البكري ، لمصدر السابق ، ص 175
[1] الادريسي (الشريف أبي عبد الله) ، المصدر السابق ،ص 23
[2] البكري ، المصدر السابق ، ص 176
[3] نفسه ، ص 176
[4] الادريسي ،المصدر السابق ،ص 23-24

وفي المجال الاقتصادي فقد كانت التجارة هي شريان الأحياة في غانة بسبب سيطرتها على مناجم الذهب في غبارو و بامبوك و ونغارا ، و كذا سيطرتها على الطرق التجارية المؤدية إلى مناجم الذهب و الذهب، حيث كانت غانة تفتقد إلى الملح الضروري للحياة، فتستورده من الشمال و خاصة من منطقة تاغزة [5]

كما يذكر ابن حوقل بان ملك غانة كان يهادي ملك اودغست خلال القرن العاشر بسبب حاجته الماسة للملح الموجود في بلده و الخارج اليهم من ديار الإسلام).[6] كما كان يجلب الملح من جزيرة أوليل أو في جنوب تافيلالت بالمغرب الاقصى [7]، أما الذهب فكان يجلب من المناطق الجنوبية مثل ونغارا) [8] في الجنوب أو من غاديا روأو غادياراء، و هي مدينة واقعة على بعد ثمانية عشرة (18) يوما من عاصمة غائة، وهي عبارة عن سوق للتبادل، بينما الذهب فلا يجلب إلا من مناطق جبلية جنوبية تقع على الضفة اليسرى من حر السنغال الاعلى له. و يقول ابن الفقيه بان ((بلاد غائة ينبت فيها الذهب نباتا في الرمل كما ينبت الجزر، ويقطف عند بزوغ الشمس)).[9]

و كانت عملية مقايضة الذهب بالملح تتم وفق طرق و قوانين معلومة، فكانت تقوم هذه العملية على مساحة كبيرة على شاطئ خر السنغال و يضع كل تاجر بضاعته في كومة خاصة به، و كان ملك غانة يفرض ضريبة دينار من الذهب على كل حمل حمار واحد من الملح على الملح الداخل الى بلاده، و يفرض ضريبية ديناران ذهب على كل حمل حمار من الملح الخارج من بلاده. كما يفرض على حمل حمار واحد من النحاس خمس مثاقيل من الذهب، أما الضريبة المفروضة على بقية السلع فهي عشرة مثاقيل من

[5] جوان جوزيف ،المرجع السابق ،ص 52
[6] ابن حوقل (أبو القاسم النسيبي) : كتاب صورة الأرض ،منشورات مكتبة الحياة ،بيروت ،1996،ص 98
[7] Delafosse .Op .Cit .p 44
[8] يقول دولافوس بأن المنطقة التي يطلق عليها العرب اسم وانغارا هي جميع المنطقة التي تنحصر بين نهر فاليمي والنيجر الأعلى ن والتي تضم بامبوك ،غان غران بوري .(ibid) 45 p
[9] ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص 87

الذهب. و كان الملك يحتكر لنفسه حتى لا يكثر بين ايدي الناس و تقل قيمته، لكنه بالمقابل كان يترك للناس الذهب المسحوق المعروف بالتبر

ويذكر ابن حوقل بان غني بعض مدن الجنوب المغربي سببه موقعها على الطريق المؤدي إلى طهب السودان مثل مدينة سجلماسة و درعة على وجه التحديد[10] فكان تجار المغرب القادمون من سجلماسة المتوجهون إلى مواطن الذهب في بلاد الونغارا يتجمعون في غانة، حيث ياتون من سجلماسة محملين بالسلع التي تضم الملح الذي اشتروه من تغازة في طريقهم، و الخشب اللين ذا الراحة و الذي يستخدم في منح الجلود رائعة حسنة و كذا في جعل الماء المحمول في قربهم عذها. كما كانوا يحملون معهم اللؤلؤ الأزرق، بالاضافة إلى حلقات الأذن و خواتم مصنوعة من النحاس الاحمر. [1] بها كما كانوا يحملون منها الجمال الواقرة القوية أوقارها. [2]

عندما تصل قافلة التجار المغاربة الة غانة يعقدون صفقات مع منعهدين و شركاء، و ينجهزون بالماء المحمول من لمتونة، ويصطحبون معهم الإدلاء من جهابذة الصحراء و السماسرة لعقد المعاملات مع اربابق الذهب، ويقطعون طريقا شاقا موحشا تب فيه رياح السموم باتجاه مصادر الذهب في بلاد الونغارا ، ولما يصلون إلى الموضع الذي يعد حدا فاصلا بينهم و بين اصحاب التبر من القبائل

الهمجية [3] يضربون الطبول، يسمعها هؤلاء القوم من السودان يسكنون في كهوف تحت الارض عراة | لا يعرفون سترا كالبهائم، و لا يتركون تاجرا يراهم، فيخرج هؤلاء القوم و يضع كل تاجر بضاعته في كومة وينصرف، بعدها ياتي اصحاب التبر و يضعون مقدارا من الذهب امام كل كومة من السلع وينصرفون ، ثم ياتي التجار بعدهم فياخذ كل

[10] ابن حوقل ، المصدر السابق ،ص 96

[1] Delafosse .Op .Cit .p 46

[2] الحموي ياقوت : معجم البلدان ،مج2 ، ص 261

[3] كانت هذه القبائل تسيطر على منادجم الذهب ويتركون أحدا من التجار يصل اليها حيث وضعوا خطا لا يتجاوزه من باردا أن يبتاع الذهب منهم. أنظر : القزويني (زكرياء بن محمد) +: أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ،بيروت ، د ت ، ص 19 المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان الغامر بالماء والعمران ،ط2، دار الأندلس بيروت ،1960،/1386، ص88

واحد ما وجد بجنب بضاعته من التبر و يتركون البضائع و ينصرفون بعد أن يضربون طبولهم.[4]

و تعرف هذه التجارة بالتجارة الصامتة الذي كان مالوفا بين قبائل السودان الغربي، حيث بقي موجودا حتى على عهد امبراطورية مالي فيما بعد. و حتى في السودان الشرقي حيث كان الاحباش يقايضون النحاس بالذهب عن طريق هذا النوع من التجارة الصامتة.[5]

خامسا: سقوط و نهاية امبراطورية غانة:

رغم محاولة بعض الروايات الاسطورية الى اعز غاية ممكلة غانة إلى لعنة الثعبان المقدس المعروف بواغدو.[6] و يرجعها من بعض المؤرخين الغربيين الى الغزو المرابطي. إلا أننا نرى بأن تراجع غانة وانحطاطها يعود الى مجموعة من العوامل اهمها:

أولا: انتشار الهجرة إلى خارج غانة، وخاصة بالنسبة للسكان الوثنيين الرافضين للإسلام والذين عندما اقتنعوا بعدم جدوى الثورة ومقاومة المرابطين فضلوا الهجرة، وكانت هجرتهم نحو الضفة اليسرى لنهر النيجر، و ذلك بحثا عن أراض أكثر خصوبة وحرية.[7] ثانيا: انتشار الفوضى داخل مملكة غانة، إذ بمجرد اخبار المرابطين واستعادة غانة استقلالها حتى عادت الروح القبلية والشقاق، وخاصة في ظل قلة الولاء لأسرة السونتكي الحاكمة، وانتشار الفوضى وقطاع الطرق، الذين أصبحوا يستولون على السكان ويبيعوهم في الأسواق[8].

[4] الحموي ياقوت : معجم البلدان ،مج2 ، ص 362

[5] شعباني (نور الدين) علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الاسلامي وأثارها الحضارية بين القرنين 4 و9 ه ،رسالة ماجيستير في التاريخ الوسيط ،جامعة الجزائر ، 1426-1427 /2006/2005 م ،غير مطبوعة ،ص 131

[6] حول أسطورة واغدو بيدا أنظر : MamadiAissa ,Traditionslegendaires et historiques de lafrique occident ale,p 20

[7] Delafosse .(M) :les noirs de lafrique , Editions Payot,1941,p48

[8] Tidiane(n diaye) La longe marche des peuples noire . Edits : Publibook, Pqrie ,2007,p28

فبعدما سيطر المرابطون على الأوضاع في السودان لمدة عشر سنوات معتمدين على الجهاد والرباطات والدعوة بدأت تفقد سيطرتها على الوضع وانبثقت الحزازات القبلية التي كانوا قد أضعفوها من قبل، فبدأت قبيلة مسوفة بالتمرد على رئاسة أي زعيم من المتونة، ثم انتقل الأمر إلى جدالة[9] . ثم انتهزت دويلات السودان هذا الخلاف الناشب بين قبائل المرابطين لتعلن استقلالها، حيث استقلت مملكة غانة التي يذكر الإدريسي ملكها بأنه أصبح مستقلا ويخطب لنفسه، لكنه تحت طاعة أمير المؤمنين الخليفة العباسي. [1]

فكان لهذان العاملان دور كبير في تغيير الخريطة السياسية لمنطقة النيجر الأعلى والسنغال فظهرت عن تفكك مملكة غانة ممالك سودانية جديدة خرجت من رحم غانة، لكنها نافستها على زعامة السودان الغربي، الذي ظلت متربعة على عرشه لمدة أكثر من سبعة قرون بدون منازع. فلقد كان القرن الخامس للهجرة/11م، هو قرن التحولات الكبرى بالنسبة لمنطقة النيجر والسنغال العلويين .

فبالإضافة إلى انتشار الإسلام في المنطقة، فانه شهد ميلاد قوى سياسية جديدة تمخضت عن سقوط غانة، حيث انتقلت السيادة من السوننكي إلى الصوصو، والمالكي، والسونغاي والتكرور. [2]

2- مملكة مالي

و(مالِّي) بفتح الميم والف بعدها لام مشدد مفخمة وياء مثناه تحتُ في الآخر.

[9] دندش ، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا (515/430ه) 1121/1830 ، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ، لبنان ،1408م /1988م . ص 136

[1] المصدر السابق ، ص 05

[2] cornevin;(Robert et Mariane) , Histore de l Afrique (des origines a la deuxieme gurre mondiale) 4eme edition,Editons. P etite bibliotheque Payot, Pari;1964,p 349

وهي المعروفة عند العامة ببلاد (التَّكرور) . قال في " مسالك الابصار": وهذه المملكة في جنوب المغرب، متصلة بالبحر المحيط. قال في ’’التعريف‘‘: وحددها في الغرب البحر المحيط، وفي الشرق بلاد البرنو، وفي الشمال جبال البربر، وفي الحنوب الهمج[1].

هي من أعظم الممالك التي قامت في بلاد السودان الغربي على يد شعب الماندي الذين كانوا من أوائل الشعوب في المنطقة التي اعتنقت الإسلام، وكان يدين في البداية بالولاء لمملكة غانة التي أشارت أمام ضربات قبائل الصوصو الوثنية، والتي تصدى لها الماندي بقيادة زعمائه خاصة الزعيم سوندياتاكيتا ، مما أهلهم للاستقلال عن غانة وتكوين مملكة عرفت مملكة مالي، والتي استمرت في التوسيع حتى شملت حدود بلاد برنو شرقا والمحيط الأطلسي غربا والصحراء الكبرى شمالا وفوتا جالون جنوبا. وعرفت دولة مالي بأسماء عديدة عند المؤرخين العرب مثل ملي، ملل .

ومالي" التي اشتهرت بها وهي تطلق على عدة أقاليم كانت مستقلة ثم اجتمعت تحت ملك صاحب صاحب مالي وهذه الأقاليم هي كالآتي:

- مالي وسميت الإمبراطورية باسمه وهو جزء منها وقاعدته مدينة (بني). - صوصو هو إقليم يقع في الغرب من إقليم مالي. - بلاد غانة : وتقع غربي إقليم صوصو وهي تحاور المحيط الأطلسي. - بلاد كوكو: تقع شرقي إقليم مالي.

ثانيا: تطور إمبراطورية مالي وازدهار:

تعد هذه الفترة أهم أدوار الإمبراطورية، سواء من حيث التوسع الجغرافي أو التنظيم العسكري وانتصاراتها، بالإضافة إلى دورها الحضاري في المنطقة. و كانت سنة 638ه

[1] القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مصورة عن الطبعة الاميرية، المؤسسة المصرية العامة، ج5، ص282.

/1240م، بداية هذا العصر الذي اعتلى فيه (سوندیانا) عرش الإمبراطورية التي أصبح حكمها يمتد على حساب مملكة غائة بعدما ألحقتها بها.

كما بدأت في التوسع باتجاه الشرق حتى بلغت حدود بلاد البورنو، و باتجاه الشمال إلى غاية بلاد البربر ، أما جنوبا فقد أصبحت تحاذي بلاد الهمج الوثنين، كما بلغت من جهة الغرب البحر المحيط. و حدد القلقشندى مساحتها نقلا عن العمري بأربعة أشهر طولا أو أزيد وعرضها مثل ذلك. كما اتخذ أمراء الماندينغ لقب (منسا) ومعناه السلطان، وذلك لأول مرة في تاريخهم.[3]

وقد سجلت مالي عدة ملوك تعاقبوا على عرشها بدءا بسوندياتا مؤسس الإمبراطورية، مرورا ب(منسا موسى) الرجل الصالح والملك العظيم، وأخيه سليمان وغيرهم. و كل منهم هيا عهدا مميزا في تاريخ مالي

ثالثا: سقوط إمبراطورية مالي :

إن بداية انحطاط إمبراطورية مالي كانت مع وقاة متسا سليمان، حيث خلفه ابنه (قنيتا بن سليمان)، و يلقب أيضا بـ (كاسا سليمان، والذي حكم فترة قصيرة قدرات بتسعة أشهر فقط، ثم ولي بعده (ماري جاطة بين مسنا مغاين منسا موسى) والذي حكم مدة أربعة عشر عاما

وكان ماري جاطة هذا شر الناس حسب اين خلدون ، حيث أصاء السيرة و أقسد ملك مالي وأتلف ذخائر البلاد، يكثرة إسرافه وتبذيره إلى درجة أنه قام ببيع حجر من الذهب تزن عشرين قنطارا إلى بحار من مصر بأبخس الأثمان، رغم أن تلك الحجرة كانت تعد أتنفس ذخائر ملوك السودان نظرا الندرة وجود مثلها، كما اشتهر بالكسل وعدم اكتراثه بشؤون البلاد إلى أن توفي عام 1374 / 776 م، حيث أصابته في أخر أيامه علة النوم والشعور بالتعام، وهو مرض كثير ما كان يصيب أهل تلك البلاد، واستمر به

[3] القلقشندي (أبو العباس أحمد) : صبح الأعشى في صناعة الانشا، الجزء 5 ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، 1333ه/1915م

المرض لمدة سنتين إلى أن توفي. بعد ماري حالة خلفه ابنه موسى الثاني، الذي حكم مابين (1776 و 1789

1974م و 1387م والذي حاول أن يعيد الإمبراطور إلى نصابها عن طريق تطوير الإدارة والعدالة, لكنه تغلب عليه وزيره (ماري حاطة) الذي كان يتصرف بشؤون الدولة كما يشاء، و تحكم في مقاليد الحكم، وقام بتدبير أمور الدولة أحسن تدبير، كما قام هذا الوزير بغزو مدينة تكدا الغنية بالنحاس، وقاد حملة إلى بلاد البورنو وحملة أخرى على الطوارق) .[1]

و رغم استيلاء ماري حاطة على السلطة إلا أنه أبقى على الملك موسي الثاني ولم يزحه عن العرش إلى أن توفي عام 789 ه/1387م.

و بعد وفاة موسى الثاني، قامت نزاعات واحتيالات من أجل الاستحواذ على السلطة بين الأشقاء والأقارب أدت إلى الخيار المملكة، حيث انتقل الحكم إلى أخيه (متسا ماغا الثاني) الذي قتل بعد سنة واحدة من توليه الحكم. ثم استولى على الحكم زوج أمه و المسمى : (صندگي) ومعناه الوزير، ثم قتل بعد أشهر من طرف رجل من بيت ماري جاطة و خلقه رجل اسمه (محمد)، و يدعي انتسابه إلى (منسا قوين منسا ولي ين ماري جاطة) و ذلك عام 793ه/1390م.

وفي هذه الفترة من الضعف والنزاعات الداخلية، ظهرت قوة كوكو (چاو) التي أخذت تضم ولايات مالية الواحدة تلو الأخرى إلى أراضيها حتي استولت على جني وهي إحدى المراكز التجارية الهامة لمالي.

إن الانحطاط بعد ذلك كان سريعا، فمنذ أواسط القرن الثامن للهجرة /14م بدأ ملوك الطوارق بشنون هجمات على تمبكتو أمام عجز أحقاد سنديانا على مقاومتهم،

[1] ابن خلدون ،العبر ، المصدر السابق ، ص 265

فسقطت تمبكتو تحت سيطرة الطوارق عام 1435 / 838 م. كما سقطت قبل ذلك العاصمة المالية نياني أمام هجمات ملوك سنغاي عام 802ه) 1400م.

وتوالت غارات ملوك او على الأراضي المالية حتى بنوا إمبراطورية سنغاي على أنقاض إمبراطوريتهم رغم محاولات أحد ملوك مالي وهو (طنغولا الأول) التصدي لهجمات ملوك سنغاي وتحالفه مع ملك البرتغال (جون الثاني)، لكن إمداداته لملك مالي لم تصل أبدا.

عموما فإن مملكة مالي استمرت في الوجود إلى غاية القرن العاشر للهجرة /16م. لكن على مساحة ضيقة جدا، إلى أن تم احتلالها كلية من طرف ملك الإسقيين و هو (الأسقيا داود) و ذلك عام 1055ه/ 1645م. لهذا نستنتج بأن ضعف إمبراطورية مالي صنعته عدة عوامل وأسباب يمكن تلخيصها فيما يلي: أولا: ضعف شخصية الملوك الذين خلفوا متصا سليمان، و الذين أصبح همهم الوحيد هوا لتنافس والتنازع على العرش، فأدخلوا البلاد في دور الفتن و الفوضى والاضطرابات. ثانيا: هجوم قبائل الموسي الوثنيين على المملكة واستيلائهم على تمبكتو، التي تعد أهم قواعد المملكة من الناحية التجارية والثقافية، بالإضافة إلى فقدان مالي لبعض متاجها المعدنية الهامة مثل مناجم النحاس تكدا ومناجم الذهب يغلام في الجنوب. و بالتالي فقدت إحدى عوامل قوة اقتصادها.

ثالثا: هناك سبب يركز عليه ابن بطوطة ألا وهو شيوع فساد الأخلاق في المجتمع المالي، وانغماسه في الملذات إذ انتقلت إلى كبار القوم من قضاة و فقهاء. ومهما يكن من أمر فإن إمبراطورية مالي ما هي إلا نموذجا للدول التي ظهرت في السودان الغربي خلال الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والتاسع للهجرة، وهي الفترة التي تم فيها امتداد الحضارة العربية الإسلامية، فشملت هذا الجزء من العالم حيث تجسدت فيها مظاهر الحضارة الإسلامية السودانية، التي بدأت ملامحها الأولى تظهر عن طريق إمبراطورية

غائة، و نضجت على أيدي ملوك مالي، واحتذى بهم ملوك الدول المجاورة ككاتم يورثو و سنغاي .

3 ـ مملكة السنغاي

تأسست هذه المملكة في القرن السابع الميلادي على يد قبائل السنغاي المقيمة على وادي النيجر عند مدينة (دندى) ثم انتشر على طول مجرى نهر النيجر إلى تنبكتو والبحيرات الكبيرة وراءها استطاعت هذه القبائل أن تؤسس أسرة حاكمة لها تسمى أسرة (دها) التي ظلت تحكم البلاد حتى سنة 726 م 1325 م وقد اتخذوا من مدينة كركيا عاصمة لهم، ثم مدينة جاو فيما بعد، اعتنق شعب السنغاي الإسلام منذ القرن الخامس محري الحادي عشر.

ميلادي وكان حينذاك في ظل إمبراطورية مالي التي ضعفت واستقلت سنغاي عنها في القرن التاسع الحري للخامس عشر ميلادي، واتخذ ملوكها لقب (سني) والذي اشتهر منهم ستي على الكبير سنة 869 م /1464م والذي وسع المملكة وأصبح يتطلع إلى الاستيلاء على المدن التجارية الكبرى كمدينة تنيكنو وحبي اللذان لهما علاقات تجارية مع تجارة الصحراء وبلاد المغرب، حيث كون حيشة وسار إلى تينيكنو التي استولى عليها في 873 هي 1468 م، ثم مدينة جني 878ه) 1473 م ثم اتجه إلى مملكة الموسي وضمها إلى ملكه ثم تقدم ناحية الشرق وهاجم بعض إمارات الهوسا فخضعت له كاتسينا، وحوير وكائو وزنفره، كما اتسع غربة حيث اخضع كل بلاد الماندنحو والفولاني وشمالا حتى موطن التوارق ومذا أصبحت مملكة الصنغاي إمبراطورية، عظمى بد، مذا الملك ، ثم شهدت هذه المملكة توسعات أكثر عندما حكمنها أسرة الأساكى، التي خلفت أسرة سني خاصة في عهد اسكيا محمد (898 ه - 1493م) الذي كانت له علاقات مع الدول المغاربية واشتهر يحبه الإسلام ، وتقديره للعلماء ومنهم الشيخ المغيلي التلمساني، كما له دور في دعوة الماندیجو والفلانين في الغرب للإسلام

والهوسا في الشرق والموسى في الجنوب والطوارق في الشمال وهذا بلغت مملكة سنغاي على عهد الأسكيا أعلى مراتب بحدها وفرضت سيطرنا على الأراضي والأقاليم التابعة لها، يفضل الترتيبات التي أسسها والإصلاحات التي باشرها وبواسعلة[1]

حكومة مركزية على درجة عالية من التنظيم والقدرة على الإدارة، وبعد أسكبا محمد جاء ملوك تنافسوا على حكم الدولة وكان همهم الكرسي مما أدى إلى ضعف الدولة وسادت الفوضى في أرجاءها اما عرضها للإطماع الخارجية منها حملة سلطان المغرب المنصور السعدي للاستيلاء على مناجم الذهب الواقعة في أرجاءها ومناجم الملح في منطقة تغازة، حيث أرسل هذا السلطان حمله بقيادة ضابطه خودر التي تميزت بوجود الأسلحة النارية وعدة الجيوش الكثيرة التي دخلت مدينة تينبكتو واستولت عليها، وكانت نتيجة هذا الغزو أن اقتيد بعض العلماء إلى مراكش خاصة المورخ السوداني أحمد بابا النيكني، مما أعطى الفرصة للحكم المغربي من بسط سيطرته وتنصيب حكم الباشوات على مملكة السنغاي من تنيكتو و بالتالي إنهاء حكم مملكة سنغاي .

ثانيا: المظاهر الحضارية لسنغاي:

كانت جاو أو كوكو تتمتع بخصائص استراتيجة، جغرافية، اقتصادية وعمرانية أهم بكثير من العاصمة كوكيا، حيث تحولت إلى مركز تجاري كبير منذ أواخر القرن السادس للهجرة /9م. فنجد في أسواقها ملح الصحراء، وسلع مصر وليبيا وإفريقية [1] . كما كانت تربطها علاقات تجارية مع إمارة ورقلة التي تعد أقدم مركز تجاري يوجد على الحدود الشمالية للصحراء.[2] وكانت كوكو محطة للقوافل التجارية المتجهة نحو شمال إفريقيا عبر منطقة كيدال بأدرار، أو القادمة من تادمكة، وتلك القادمة من مصر وشمال إفريقيا. (ما أنها أضحت قبلة للدعاة والفقهاء أيضا. وهذا الموقع الاستراتيجي والدور

[1] د نور الدين شعباني ، محاضرات بتاريخ ممالك السودان الغربي ، دار الجزائر، د ط ، ص 60

[1] Lilliane(Prevost) et Isabelle(De courtilles) , Op.Cit; p13

[2] Barth,(henri) :Op. Cit,p11

الاقتصادي الحيوي الذي أصبحت تحظى به مدينة جاو كان جديرا بأن يلفت انتباه ملوك كوكيا نحوها. لذا فبعدما كانت كوكيا عاصمتهم الأولى، وقاعدة حكمهم لمدة ثلاثة قرون، نقلوا عاصمتهم إلى جاو التي ستضل عاصمة مملكة سنغاي، وكذا الإمبراطورية السنغائية التي قامت بعد ذلك على أنقاض إمبراطورية مالي[3] . وبانتقال السنغاي إلى عاصمتهم الجديدة جاو أو كوكو تبدأ المرحلة الهامة من تاريخهم، وذلك مع أواخر القرن الرابع للهجرة/10م .[4]

إن هذه المرحلة تعد أكثر المراحل شهرة بالنسبة لتاريخ مملكة سونغاي [5] ، حيث تكلمت المصادر العربية عن ازدهار المملكة وعاصمتها الجديدة المعروفة بجاو (أو كاوكاو أو كوكو)، على خلاف المرحلة السابقة أثناء وجودها في كوكيا. فنجد مؤرخي الرابع والخامس الهجريين قد زودونا بمعلومات قيمة حول كوكو والدور الذي أصبحت تضطلع به، ليس بالنسبة لمملكة سنغاي فقط، وإنما بالنسبة للسودان الغربي ككل. فاليعقوبي المتوفي سنة 292هـ/905 م، يقول عنها أنها كانت في عصره من أعظم ممالك السودان وأجلها قدرا وأعظمها أمرا. وكانت الممالك تعطي لملكها الطاعة، وهناك عدة ملوك تابعين لملك كوكو ويعطونه الطاعة ويقرون له بالرئاسة، رغم أنهم كانوا ملوكا لبلدانهم، ومن هؤلاء يوجد ملك المرو، ملك مردية، ملك الهربر، ملك صنهاجة، ملك تذكير، ملك الزيانير، ملك أرور، وملك بقاروت. وكلهم ينتسبون إلى مملكة كوكو.[6]

أما ياقوت الحموي فرغم أنه توفي عام 626 1229م إلا أنه نقل معلوماته حول كوكو وملوكها عن المهلبي الذي كتب عنها عام 374هـ/985 م، بحيث يقول بأنها كانت بما مدينتان واحدة شرقي النيل (النيجر) وتسمى سرناه بما أسواق ومتاجر و يقصدها

[3] شكري (احمد) ،المرجع السابق ، ص 103

[4] دالي (الهادي مبروك) التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا في ما وراء الصحراء ,من نهاية القرن 15الى 18 .الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط1 ، 1999م ، ص95

[5] خلال هذه المرحلة بلغت شهرة ملوك جاو القارة الأروبية حيث ربطت علاقات دبلوماسية مع ملوك الأندلس باسبانيا . أنظر: Cornevin(Robert et Mariane),Op;Cit;p162

[6] تاريخ اليعقوبي ،الجزء الأول ، ص 191

الناس من كل البلدان. ومدينة أخرى غربي النيل خاصة بإقامته (أي الملك) هو وثقاته، وما مسجد يصلي فيه ومصلى الجماعة, وله فيها أيضا قصرا لا يسكنه معه أحد)[1]

ومن مؤرخي القرن الرابع للهجرة الذين يذكرونا أيضا نجد ابن حوقل، الذي يذكر ملك سنغاي باسم "ملك كوغة"، ويقول عنه بأنه كان يقيم علاقة طيبة مع ملك أودعست الذي كان في ذلك الوقت تابعا لإمبراطورية غانة، ويعطيه الهدايا رغم أن ملك كوغة كان أقل مالا وغنى من ملك أوغست. ولكن ابن حوقل يرجع ذلك إلى حاجة ملك كوغة إلى الملح الذي يصل إليهم من أودغست [2] . ذلك أن أودغست كانت تمثل مركزا تجاريا، ونقطة عبور مهمة للقوافل القادمة من بلاد المسلمين في الشمال إلى بلاد السودان. وبالتالي كانت كل السلع الأساسية المتجهة إلى الأسواق السودانية كانت تمر عبيرها، ومن هذه السلع الملح الذي لم يكن يستغني عنه السونغاي ولا قوام لهم الا به [3]

أما البكري الذي عاش في أواسط القرن الخامس للهجرة، فانه يذكر كوغة (جاو) ويصف لنا حركتها التجارية ، وأهم السلع التي كانت تتدفق على أسواقها من الملح والودع والنحاس والفربيون (كذا). كما يذكر غناها بالذهب من خلال مناجم التير التي تحيط بها، بل ويصفها بأكثر بلاد السودان ذهبا[4]

إن هذه الشهادات التي قدمتها لنا المصادر العربية، تبين بأن مملكة سنغاي قد عرفت تطورا وازدهارا كبيرين منذ نقل عاصمتها إلى جاو، واستفادت كثيرا من هذه المدينة التجارية التي جعلتها تلعب دورا اقتصاديا وسياسيا لا يمكن تجاوزهما في منطقة النيجر والسنغال العلويين خلال الفترة الممتدة بين القرنين الثالث والخامس الهجريين 9 و 11 الميلاديين.

---

[1] معجم بلدان ،مج 7، حرف (الكاف) صص301و302
[2] صورة الأرض ،دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة ،د ت ، ص 98
[3] نفسه ، ص 98
[4] المصدر السابق ، ص 179

وعرفت مملكة سنغاي خلال هذه الفترة ملوكا أقوياء حافظوا على قوة هذه المملكة وازدهارها، وساهموا في تدعيم ذلك الدور الذي أنيط بمملكتهم. وكان هؤلاء الملوك من نفس العائلة التي أسست إمارة سنغاي الأولى في كوكيا، ألا وهي عائلة زا الأيمن. ولقد ذكر السعدي في كتابه ثلاثين ملكا حكموا سنغاي، وكلهم ينتمون إلى نفس العائلة. ويبدأ اسمهم بحرف الزاي "بدء من زا الأيمن إلى غاية الملك "زا بدا "

الذي يعد آخر ملك من هذه العائلة، قبل أن ينتقل الحكم إلى عائلة الإسقيين، وقد ساد منهم أربعة عشر ملكا كلهم قبل الإسلام).[5] وهذا يؤكد ما ذهب إليه دولافوس من أن أول ملوك كوكيا زا الأيمن، و مرافقيه لم يكونوا مسلمين. ولكننا في نفس الوقت لا نملك ما يثبت الكلام الذي ذهب إليه دولافوس و هو أنهم كانوا مسيحيين).[6]

وحسب السعدي دائما فإن أول ملك اسلم منهم كان "زا كوسي"، والذي يقال له في كلامهم "مسلم دم" أي أسلم طوعا، وبإرادته دون إكراه، وكان ذلك سنة 400 ه/1009م.
[7] والتالي فإننا نستنتج بأن إسلام ملوك كوكو كان قبل الغزو المرابطي لغانة، أي أنه كان بالطرق السلمية، وبعيدة عن الحرب والإكراه، وربما يكون ملوك كوكو قد تأثروا بالتجار المسلمين الذين كانت عاصمتهم تعج بكم، وفيهم الدعاة والفقهاء[8] (ها لكن المصادر العربية المعاصرة لهؤلاء الملوك الأوائل من المسلمين تخبرنا بأن الإسلام لم يكن ديانة كل شعب السنغاي، حيث كان سكان العاصمة جاو.

مسلمين، ولهم مسجدا يصلون فيه جماعة. بينما ما حواليها من الممالك والمدن، فإنهم كانوا يزالون مشركين، لكن يبقى أغلبية الشعب مسلما).[1]

[5] تاريخ السودان ،ص 2و3

[6] Delafosse(M), Haut S-N ,tome, p241

[7] المصدر السابق ، ص 3

[8] Monteil(Vincent, lislam noir,une religion a la conquete de l Afrique.Editions du seuil,France,1980,p94

[1] البكري ، المصدر السابق ، ص79، الحموي ،المصدر السابق ، ص 301

يذكر البكري عاصمة سنغاي كوغة و يقول بانها تقع على بعد مسيرة خمسة عشر مرحلة من غانة و ان اهلها مسلمون و حول هذه المدينة يوجد المشركين، و أكثر ما يتجهز اليها الملح الذي يستعمل ايضا كعملة، والودع و النحاس، والفربيون (الحلبة انفق شيء عندهم، و حواليها من معادن التبر كثيرة وهي أكثر بلاد السودان ذهبا)[2]. كما يقول عن اهلها بأخم يلقبون بالبزركانيين، و أن عاصمتهم تنقسم الى قسمين واحدة يسكنها الملك و اخرى يسكنها المسلمون و أن ملكهم رغم اسلامه الا انه كان يسكن مدينة الكفار، و زيهم كزي السودان من الملاحف و ثياب الجلود و غير ذلك حسب قدرة كل انسان منهم، وهم يعبدون الدكاكير (الاصنام) و كانوا عندما يجلس الملك يضربون الطبل و ترقص النساء بشعورهن المسترسلة، و أنه لم يكن يسمح لأي احد ان يتحرك في المدينة حتى يفرغ الملك من أكل طعامه ثم يلقي ما بقي منه في النهر فيصيحون ليعلم الناس انه فرغ من طعامه .

وكان الملك الجديد عندما يولى العرش يجلب له خاتم و سيف وز مصحف القرآن يزعمون بانه مبعوث له من عند امير المؤمنين (أي الخليفة العباسي) ويقول البكري بان ملك كوكو كان مسلما ولا ينصبون ملكا الا من المسلمين .[3]

3- مملكة كانم

الكانم في المصادر العربية

لقد ذكرت المصادر العربية [4] مملكة كائم منذ القرن التاسع للهجرة/13م، لكن المصادر الخلية للتشاد قد ذكر الا في مصدر واحد و هو الديوان الملكي الذي سجل تاريخ الاسرة الملكة منذ القرن السابع للهجرة /13م. أما دلافوس فيذكر بأنه يشرق يحيرة

---

[2] البكري ، المصدر السابق ، ص1798 .

[3] نفسه ،ص 183

[4] ذكرها كل من الادريسي (نزهة الشناف)، البكري (المسالك و الممالك) و اين مسير كتاب الجغرافيا).

التشاد عاش شعب تربطه بشعوب اخرى متفرقة على ارض صحراوية رابطة لغة واحدة و أصول واحدة، هذا الشعب يسمى بالكانم [5] .

و تقول الروايات الشفوية بأن نشأة مملكة كاتم كانت حوالي 1800 /184م بعدما سيطر عليها الزغاوة وأصبحوا ملوكا للأرض و المملكة. فحتى اليعقوبي الذي ذكر البلدان سنة 258ه/872م، فقد ذكر بأنه في زمانه كانت مملكة الكائم تحت حكم شعب يدعى الزغاوة. كما ذكرها ابن قتيبة خلال القرن الثاني للهجرة، والمهلي في نهاية القرن الرابع للهجرة، و الذي ذكر تفاصيل مهمة عن مملكة الزغاوة. [6]

ويعتبر اليعقوبي أول من أشار إلى مملكة الزغاوة[1] وذلك في القرن 3ه 9م، أثناء حديثه عن الكانم، حيث قال: "أما السودان الذين غربوا وسلكوا نحو المغرب، فإحم قطعوا البلاد فصارت لهم عدة ممالك، فأول ممالكهم الزغاوة، وهم الشازلون بالوضع الذي يقال له كانم، ومنازلهم أخصاص القصب، وليسوا بأصحاب مدن، ويسمى ملكهم گاكرد. ومن الزغاوة صنف يقال له أخوضيون ولهم ملك من الزغاوة [21]

وعرفت مملكة الزغاوة أيضا مملكة گائم، وهو المكان الذي يعيش فيه الزغاوة، وكانم تعني في لغة القرعان[2] الجنوب) أي أن كانم تقع إلى الجنوب من بلاد القرعان. ويقول ياقوت الحموي: كانم يكسر النون من بلاد البربر إلى اقصى المغرب في بلاد السودان ...

---

[5] Delafosse(Maurice), Les noirs de l'Afrique. Editions Payot, Paris, 1941, P100

[6] الزغاوة: ويطلقون على انفسهم بيري، وهي قبيلة تعيش أساسا في تشاد والسودان وليبيا، و يوجدون في غرب السودان و خصوصا في دار فور، وقد اختلف المؤرخون حول أصل الزغاوة ،حيث ذهب البعض إلى أفم يلتقون مع البرنو الذي ينحدرون من العرب العارية عرب الجنوب وأفم حميون . ثم كانوا من ضمن هجرات العرب الأولى قبل الإسلام يقرون ثم اختلطوا بقدماء المصريين الم السيليين ، ثم طعنوا الى حوض حية تشاد وخلال الترحال والتداخل والتعايش التقوا بأقوام وعناصر پشية كثيرة ومختلفة فراوجوا وتصاهروا حتى ضاع لسان كثير منهم فصاروا بطانة، وذهب آخرون إلى أن الزغاوة برابرة حاميون وعندما جاء الإسلام. كانوا أول من اعشقه وأبلوا بلاء حسنا في الدفاع عنه، وحمل رسالته لكثير من الشعوب العربية. وذهب بعضهم إلى أن الزغاوة هم الشعب الليبي القديم والصلوا عن طريق البحر الأبيض المتوسط بالحضارات القليقة كالفينية والمصرية والوية.

[1] اليعقوبي، كتاب البلدان، مطيعة بيل، بارى ، 18، ص 149.

[2] القرعان هم قبائل سودانية ينشرون في بحيرة التناد و كوردقان و السودان الاوسط عموما هناك من يتهم الى اصول عربية و الى الحسن بن علي كرم الله وجهه و منهم من به إلى أصول وتحية. و على العموم فان القران كانوا حارا و رعاة بقر اسطو منذ وقت مبكر و عملوا على نشر الإسلام و تعليم القرآن في السودان الأوسط و نشروا اللغة العربية ابنا. (أنظر: محمود أبكر سليمان و محمد علي البكر الطياوي، الرعاية مبلغ و حاضر، الطبعة الأمين الكويت، 1988م، مي مر 12

و قبل كاتم صنف من السودان وفي زماننا هذا شاعر بمراكش المغرب يقال له الكائي مشهود له بالاجادة و لم اسمع شيئا من شعره ولاعرفت اسمه[4]

يقول عنها البكري: "وبين زويلة و يلد گائم أربعون مرحلة و هم وراء صحراء بلاد زويلة لا يكاد أحد يصل اليهم و هم سودان مشركون و يزعمون أن أن هنالك قوم من بني أمية صاروا اليها عند محنتهم بالعباسيين وهم على زي العرب و أحوالها .[5]

وامتدت حدود مملكة الزغاوة في گائم لتضم إليها مناطق پلماء كوار ولتصل حتى زويلا، في فران في الشمال، أما في الشرق فكانت حدودها تحاذي بلاد النوبة. ويقول المسعودي بافا تصل إلى قول عنهم بأن مملكتهم تضم شعوبا كثيرة ، وهم يعظمون ملكهم و يعبر غاية النيل المصري، وأنها كانت في حرب مع ممالك التوبة. ووصفهم المهلي في القرن 4/ (10م كمملكة واسعة تمتد من بحيرة تشاد الى حدود النوية. و يدعونه من دون الله تعالى و يتوهمون لنه لا يأكل الطعام ...و پده مطلقة في رعاياه و يسرق من يشاء منهم ،،، و هم يعبدون ملوكهم و يعتقدون پام هم الذين يحبون و يميتون و يمرضون و يصحون" و هذا ما يؤكد بأن الكاميين لم يعتنقوا الإسلام إلا بعد القرن الرابع للهجرة /10م.[6]

رابعا: التنظيم السياسي لمملكة كانم :

قبل القرن الثالث للميلاد كان أفراد الأسرة الحاكمة يستحوذون على كل الوظائف العليا للدولة ، لكن ابتداء من القرن 13م بدأ السيفيون يبعدون أفراد الأسرة الحاكمة من الوظائف العليا للدولة، و اخذو يعتمدون على عناصر اجنبية, حيث تذكر المصادر أن أحد ملوك كانم و هو ابراهيم نيقال قتل أحد أبنائه و بدأ بتقسيم البلاد على حكام أجانب هم

[4] ياقوت الحموى، معجم البلدان، مطبعة السعادة، مصر 1965م، الطبعة الأولى ، الحلة الابع، ص310 (البكري وابو عبيد) للعوب في ذكر بلاد بلاد افريقية و العرب و هو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، د ست هاى 11.

[5]البكري (أبو عبيد) المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب و هو جزء من كتاب المسالك و المماليك , دار الكتاب الإسلامي , القاهرة , دت, ص11

[6] نور الدين شعباني , علاقات مماليك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي و آثارها الحضاري بين القرنين الخامس و التاسع الهجريين , رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط , جامعة الجزائر 2 , السنة الجامعية : 2005 – 2006 ميلادي , ص 18

حاكم الشمال (برما) و حاكم الجنوب (فيغما) بينما وزع ادارة الاقاليم علي عبيد البيت الملكي وكان الأمهات الملوك (أو الملكة الأم) أو (الغامسو) ذات دور كبير في تعيين الملك أو حكام الاقاليم الذين يكونون عادة من عشيرة أم السلطان، كما أنها الوحيدة التي يكون لابنها الحق في تولية العرش أما بخصوص إدارة الأقاليم فقد كان سلطان السقويين يشمل في غاية القرن 15م اثنتي عشرة (12) مملكة تابعة له، حيث كان يتولى كل منها عبد من عبيد البيت الملكي[7]

ويصف اين فضل الله العمري ملك كام في كبريائه فيقول:" و ملكهم على حقارة سلطانه و سوء بقعة مكانه في غاية لا تدرك من الكبرياء يمسح برأسه عنان السماء مع ضعف أسناد، و قلة متحصل بلاد، محجوب لا يراه أحد إلا في يومي العيدين، يرى بكرة و عند العصر، و في سائر السنة لا يكلمه أحد، وإن كان أميرا إلا من وراء حجاب [1] . أما الجيش فقد ذكرت بشأنه النصوص التاريخية بأنه كان نظاميا و دائما و ضم الجنود المحاربين الذين يدعون خلال الحملات أي جيش الاحتياط أما الجيش الاحترافي فقد كان يدعى بالعسكر وكانوا يتلثمون[2]. و كان الفضاء من اختصاص الملك شخصيا مثلما كان في عهد ملوك مالي، لكن منذ عهد إدريس ألوما كانت محاولة لاتخاذ قضاء على أساس الشريعة الإسلامية. وذكر العمري بأن العدل كان قائما في مملكتهم. . أما التجارة فقد ساعدها موقع كائم في شمال شرق بحيرة تشاد، و بذلك فهي كانت تشرف على حارة القوافل المتجهة نحو الجنوب. و كانت سيطرتها على كوار تدر عليها ارباحا طائلة من جراء تصدير الملح إلى دول الجنوب ، فكروا كانت من أعظم مدن الصحراء وفرة من حيث الملح, كمكا سيطرت على واحات فزان مما سمح لها بالسيطرة على الطريق الاوسط الرابط بين طرابلس و كانم، و الطريق الشرقي الرابط بين مصر . غانة - مالي .

[7] ديرك لانجي , مماليك التشاد و شعوبها , مرجع سابق , ص 256

[1] نفسه , ص 256

[2] العمري (إبن فضل الله) مسالك الأبصار في مماليك الأمصار , تحقيق أحمد حمزة عباس , المجمع الثقافي , أوظبي , الإمارات العربية المتحدة , 2002 م , المجلد الرابع , ص 95 .

سونغاي، بالإضافة إلى سيطرتها على الطريق المؤدي إلى المغرب الأقصى المار بكانم[1]. أما السلع المتبادلة مع دول الشمال فهي تتمثل في العبيد أساسا،

حيث يعد الرقيق أهم سلعة و أقدمها للكاتهم، ويذكر اليعقوبي انه بكوار كان هناك قوم من المسلمين البربر يأتون ياعبيد السودان إلى زويلة[2]. و خلال القرن 15 كانوا يستبدلون العبيد بالخيول ، و كانوا في أحيان كثيرة ينتظرون سنة كاملة ليجمع لهم الملك العدد الكافي من العبيد[3]. لا كما كانت القوافل المتجهة من كاثم إلى الشمال تحمل معها أنياب الفيلة و ريش النعام و بعض الحيوانات الحية، أما أهم سلعة مستوردة فكانت الخيول التي يستعملوها في الحروب، حيث تذكر الروايات الشفوية به في عهد ديبالامي الذي حكم بين 1210 و 1248م كان عدد الخيول في فرقة الفرسان في جيشه يقدر ب 41000 حصانا[4]. (مه كما استورد الكانيون من الشمال القماش و الملابس و الأسلحة الحديدية. فاين سعيد يذكر أنه في عهد دوناما ديبالام كان الكانيون يستوردون ملابس من تونس، كما ذكر المهلبي من قبل بأن ملك الزغاوة كان يرتدي الملابس الصوفية و الحريرية القادمة من سوسة)، كما صدر الكانيون القصدير والنحاس، أما العملة التي استعملوها في مبادلاتها فكانت مكعبات القماش القطنية د.

خامسا: الإسلام في كاتم

حسب الروايات الشفوية فإن الملك حمادي (هوماي) يعد أول كاني اعتنق الاسلام و ذلك سنة 1085 م) . حيث بدأ يجلب الى قصره منذ اعتناقه الإسلام الفقهاء المسلمين، كما أن ابنه دوناما بن هوماي (1086. 1140م) أدى فريضة الحج مرتين و توفي و هو

[1] ديرك لانجمي، المرجع السابق، ص 257

[2] اليعقوبي كتاب البلدان , طبعة أبريل 1860 , ص 130

[3] كان ملوك كانم هم بأنفسهم من يبيعون العبيد إلى الدول الإسلامية , حيث تذكر مصادر أنه خلال القرن الثاني عشر ميلادي قام ملك كانم(الماي) برحلتين للحج ترك خلال كل رحلة في القاهرة 300 عبد. Monteil (vincent)L'islam noir Paris 1980 ; page 98 une religion conquête de l'afrique ; 3 eme édition ; collection esprit Seuil

[4] ديرك لالنجي , المرجع السابق ص 258

في طريقة الى الح258ج في المرة الثالثة ، كما أن هوماي نفسه توفي بمصر أي لأنه كان في رحلة الى الحج. ها |

و حسب الروايات الشفوية فإنه ابتداء من الملك بر بن دوناما (1140 ,1160م) أصبحت زوجات الملوك الرئيسية تتحدان من المسلمات، لكن الإسلام الصحيح لم يتجذر لدى الطبقات العامة للشعب إلا منذ عهد دوناما د بالامى (1210 .1248م).

و كان دوناما ديبالا مى ملكا مسلما مصلحا عظيما حج إلى مكة مرتين، وقام بتحطيم ضريح تابع للديانة الوثنية القديمة يدعى موبني وهو ما سبب بعض الاضطرابات والاحتجاجات بسبب قداسة هذا المعلم.

خاتمة

خاتمة:

ومن خلال ما تم ذكره في هذه المذكرة الموسومة بعنوان:" **بلاد االسودان من خلال كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**" والبحث والإطلاع على المصادر والمراجع خلصنا إلى مايلي:

يعتبر القلقشندي من المؤرخين الذين برزوا في العصر الوسيط بأعمالهم الجبارة والخالدة، والتي تمثل لنا مصدرا هاماً للوصول إلى أهم الأخبار في ذلك العصر، وهو مؤرخ وأديب ولد في قلقشندة وينحدر من أصل عربي، برع في علم الأنساب فألف فيه كتابان مهمان هما "نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب"، وكتاب "قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان"، وله كدلك موسوعته:" **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**" والتي تعتبر من أهم مؤلفات القلقشندي تناول فيها العديد من الموضوعات، حيث استغرق في تأليفها قرابة العشرين عاماً، واعتمد على جملة من المصادر المهمة المعاصرة له.

كما خصص القلقشندي في كتابه صبح الأعشى جزءا للحديث عن بلاد السودان وذكر عدة مماليك منها كانم وبرنو وسنغاي وغيرها من المماليك، اهتم بدراسة الطبيعية لبلاد السودان ووصف أنهارها وجبالها وتضاريسها، كما تناول طبيعة البشر واختلاف تواجدهم في هذه البلاد، وذكر ما تمتاز به من ثروات طبيعية من ذهب والعاج وأهم تبادلات التجارية.

الملاحق

الملحق رقم: 01

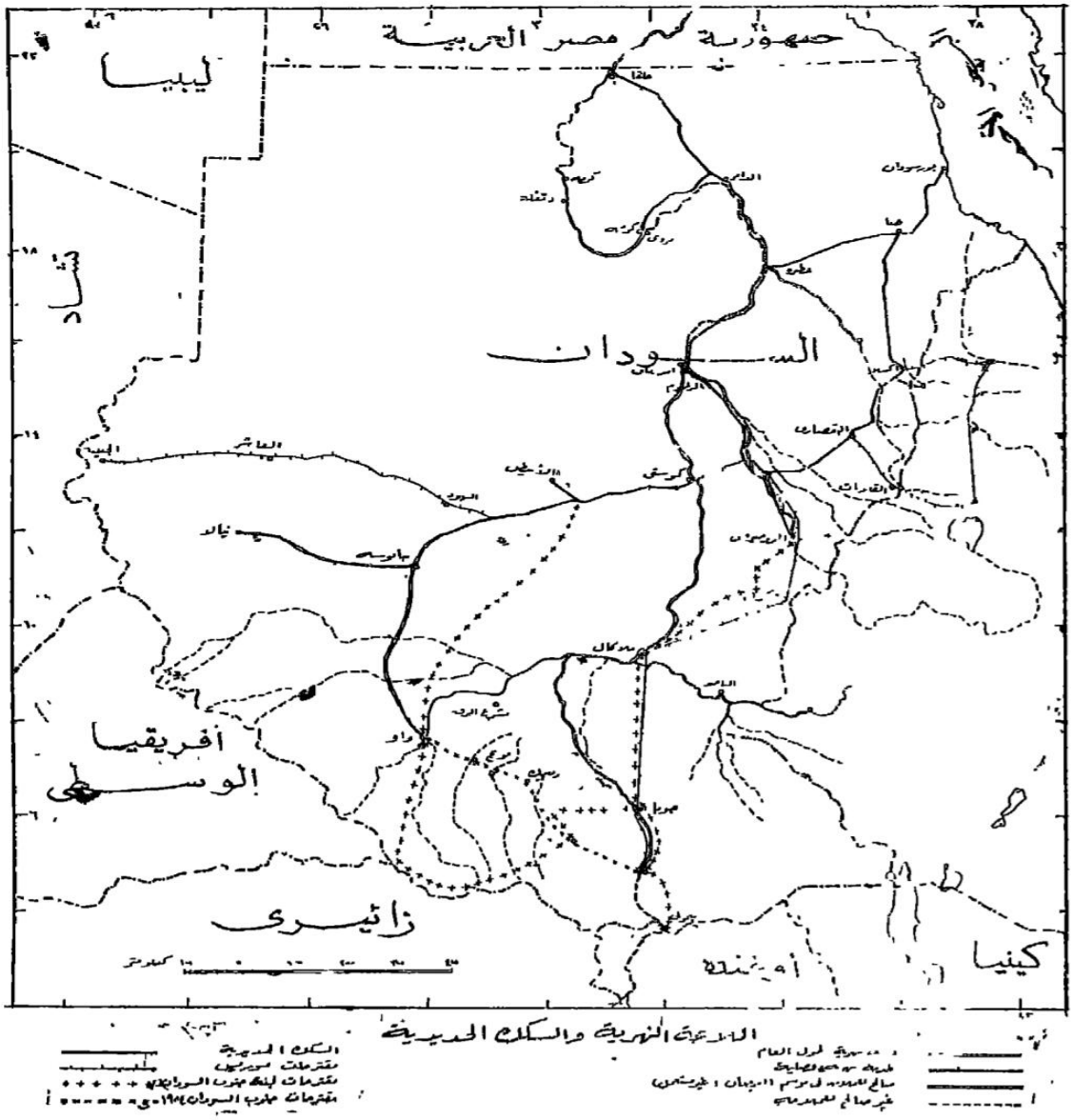

المصدر: محمود كعت تمبكتو

الملحق رقم:02

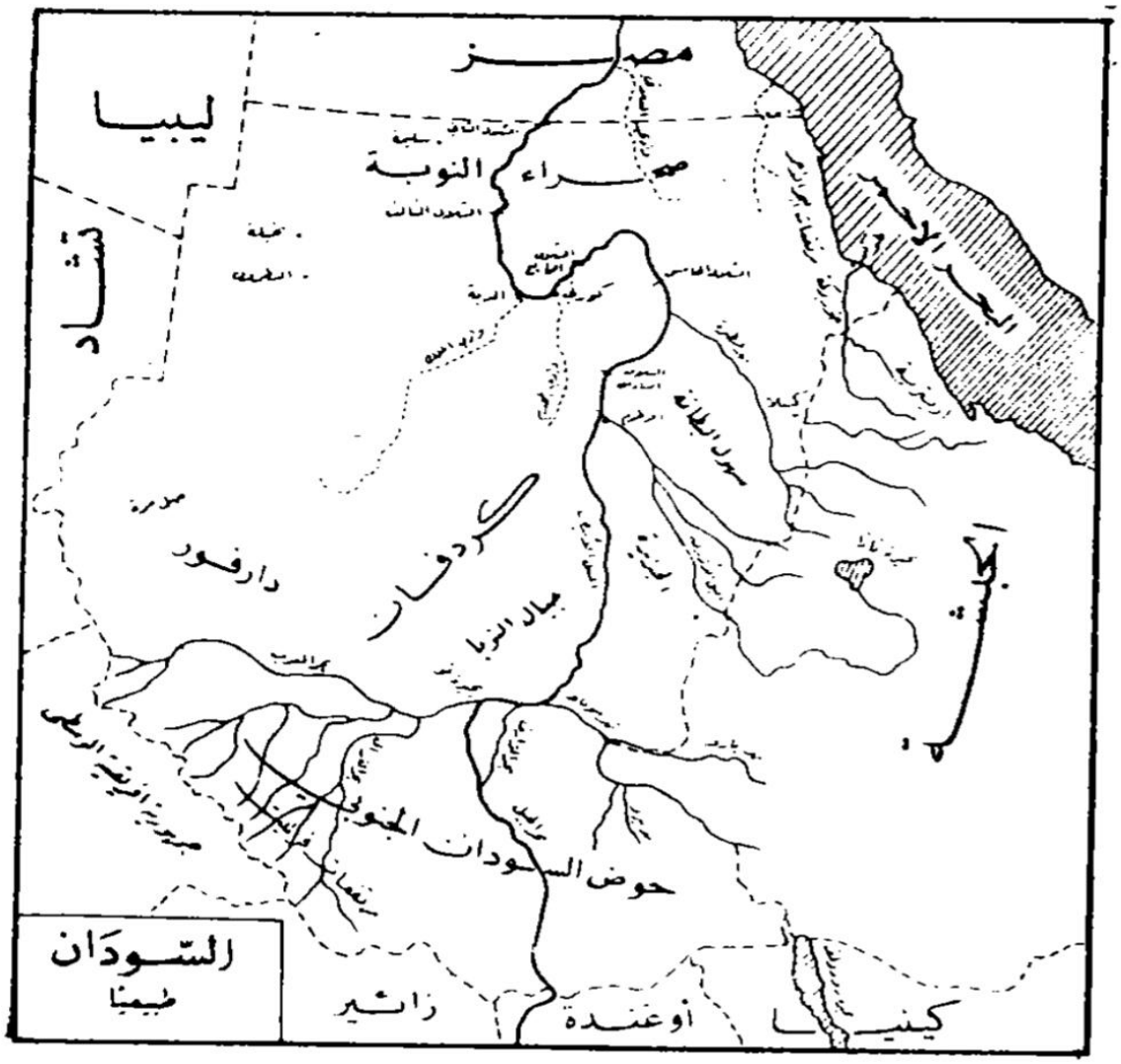

خريطة السودان المرجع: مواطن شعوب الإسلامية في افريقيا الجزء 11 ل: محمود شاكر

الملحق رقم: 03

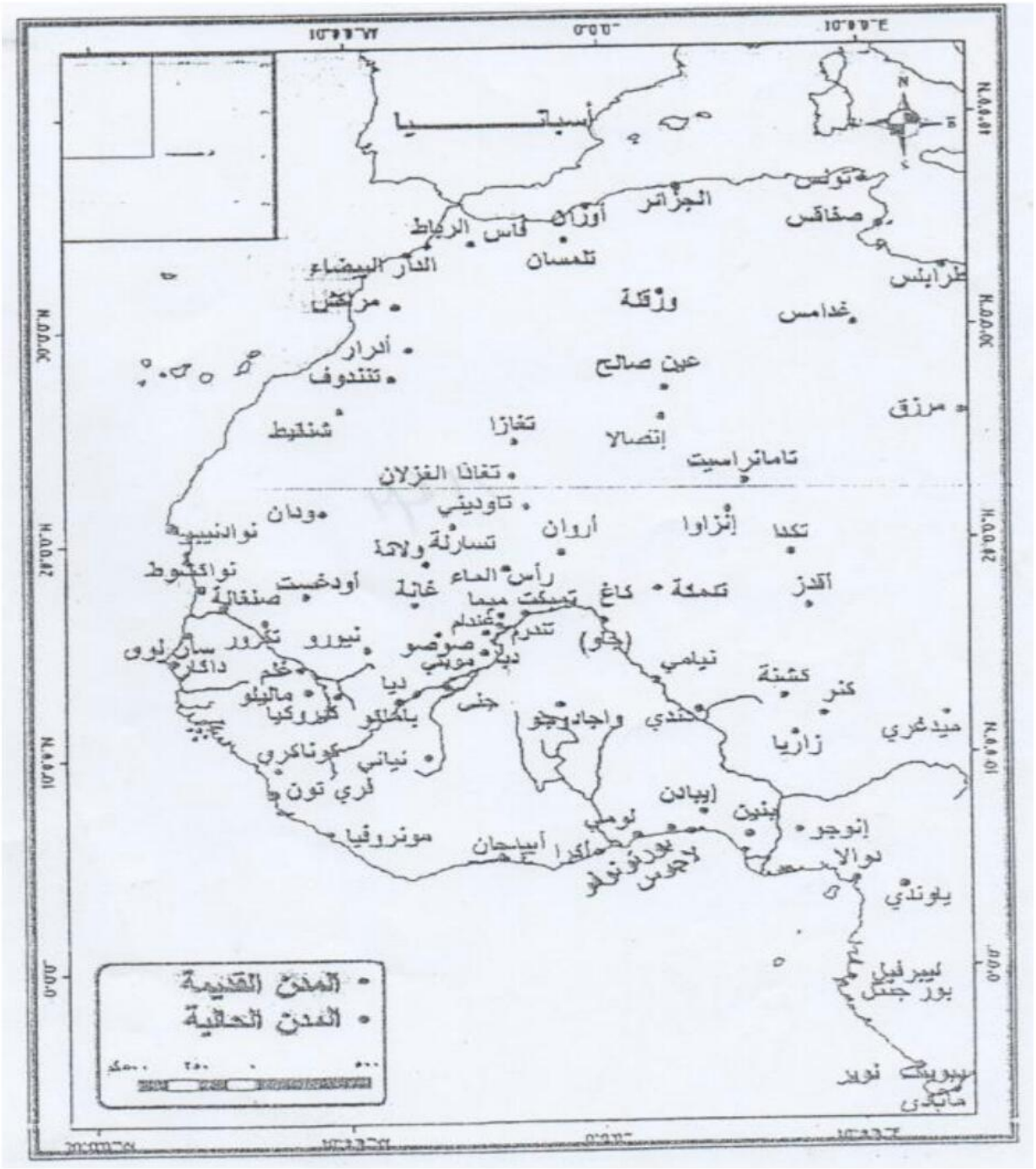

بلاد السودان الغربي المرجع: القضاء وأثره في دولتي مالي وصنغي ل: إيهاب شعبان عبد الشافي

الملحق رقم: 04

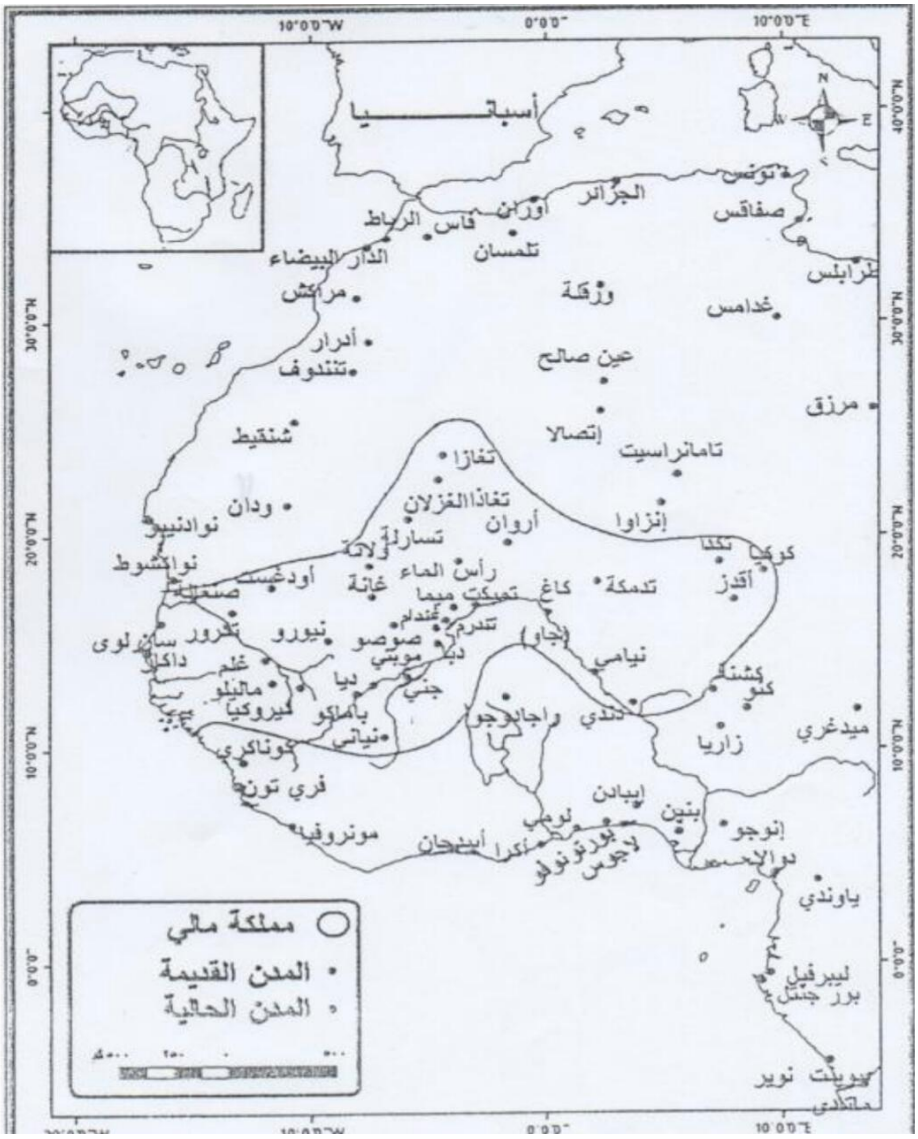

خريطة مملكة مالي المرجع: تاريخ افريقيا العام

الملحق رقم: 05

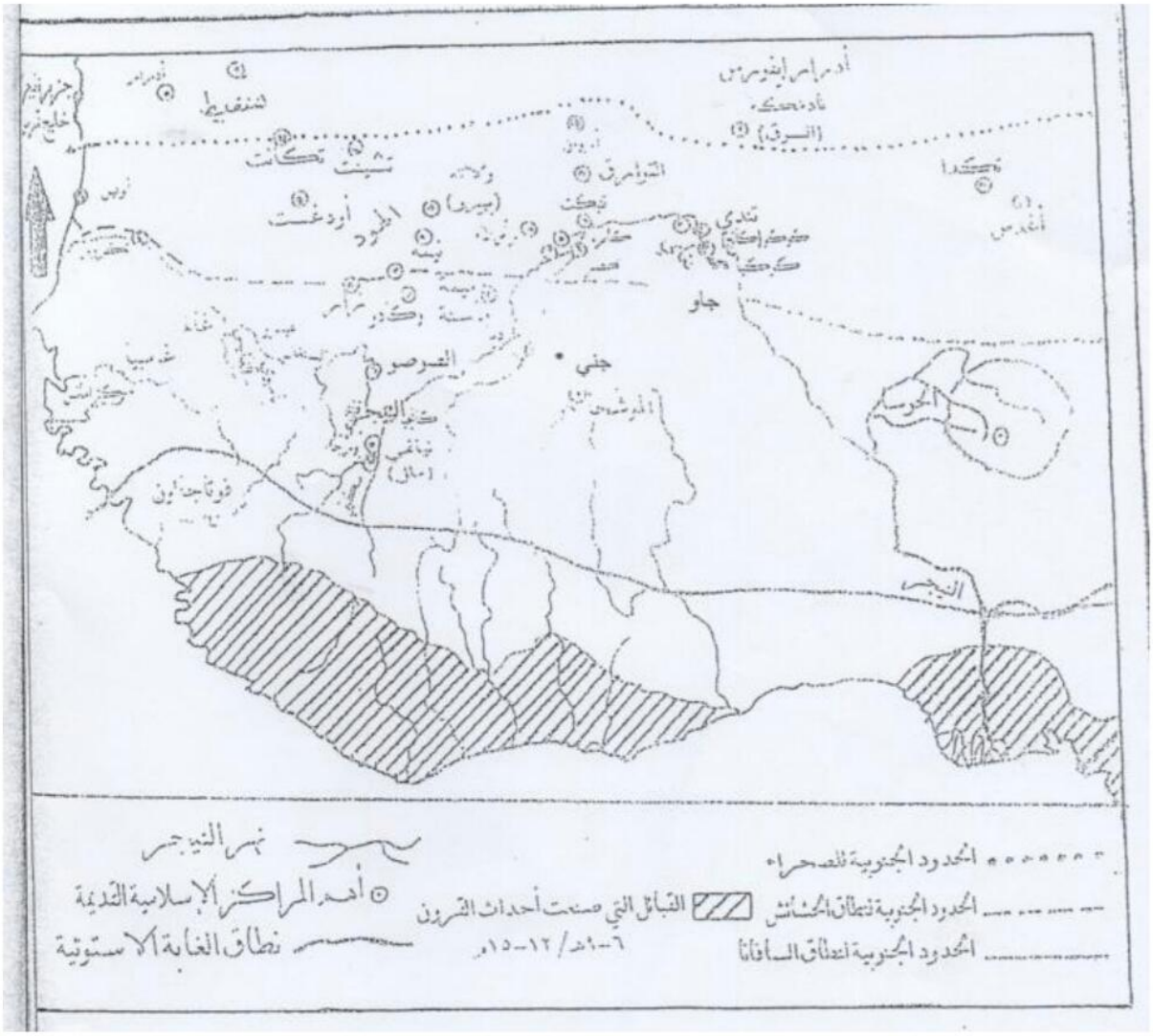

قبائل مملكة مالي الإسلامية

المرجع: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي ل: أحمد الشكري

الملحق رقم:06

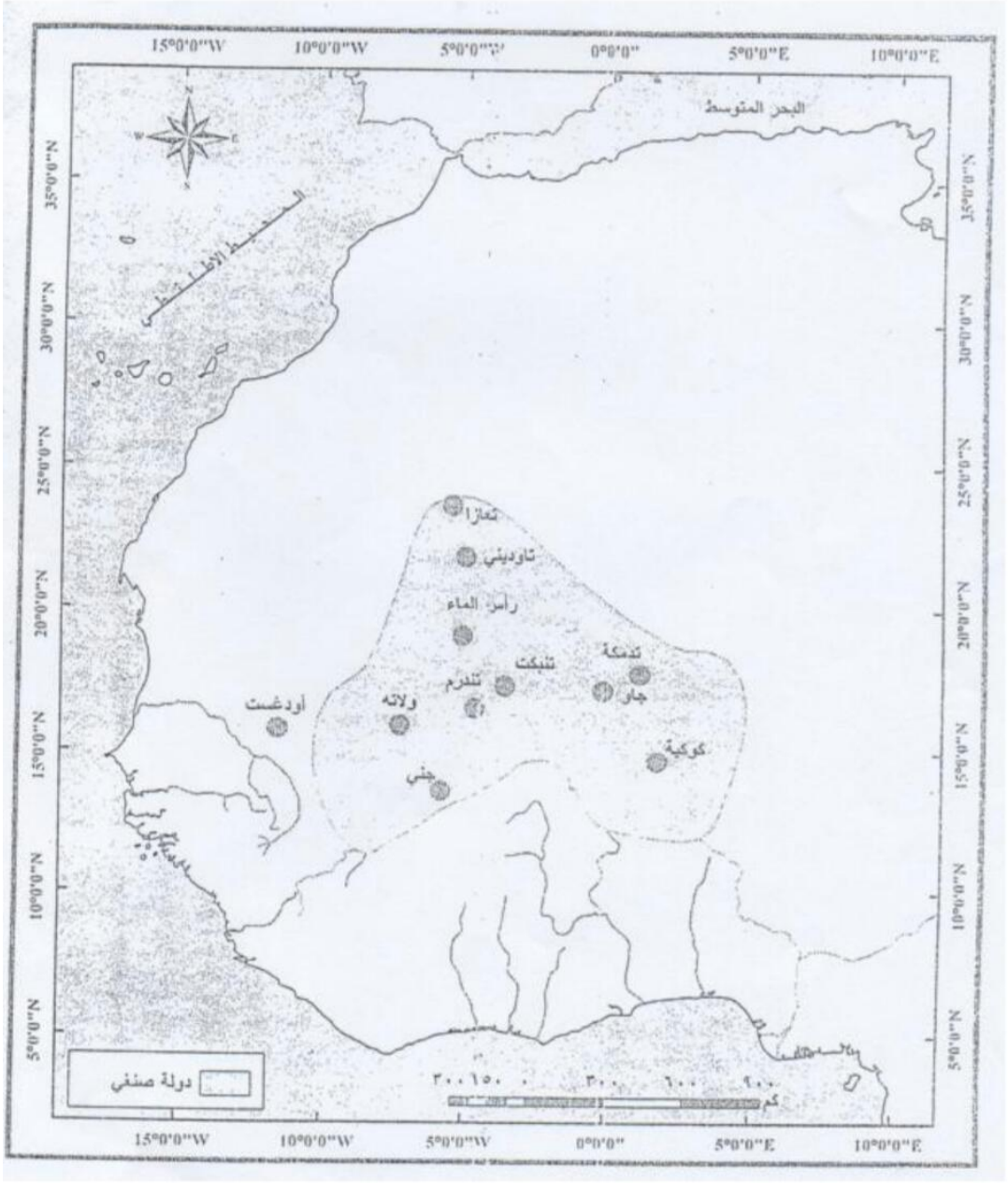

خريطة دولة صنغي: المرجع القضاء في دولتي مالي وصنغي المرجع السابق

الملحق رقم:07

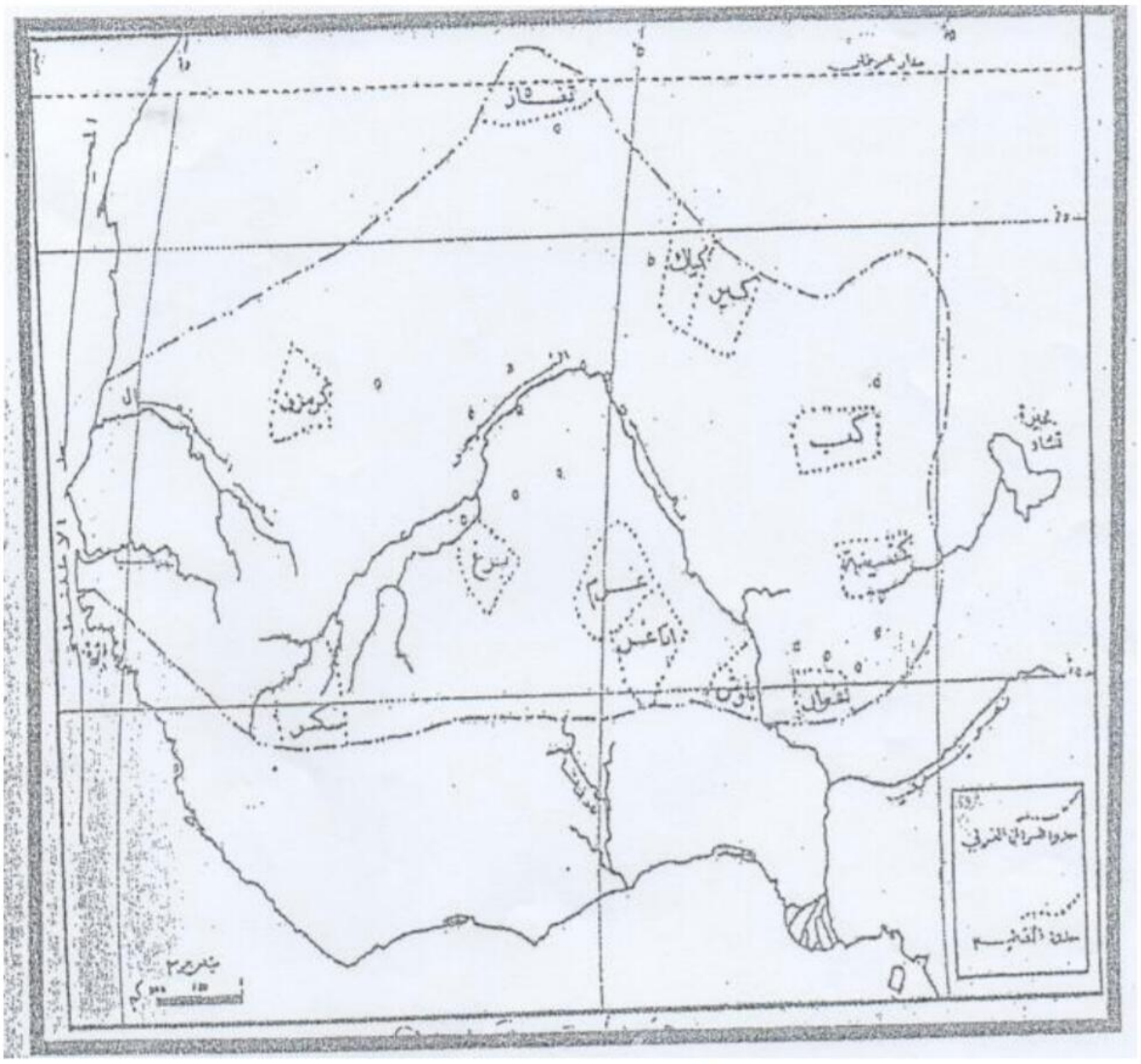

أهم المدن في سنغاي

المرجع: تاريخ افريقيا فيما وراء الصحراء ل: عبد الهادي المبروك الدلي

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

أولا: المصادر:

1. إبن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل دكار وخليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6.
2. ابن حوقل أبو القاسم النسيبي، كتاب صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت،1938.
3. ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، طبع في مدينة ليدن المحروسة،1302.
4. ابن عبد الحكم، فتوح مصر المغرب، تح: عبد الله أنيس، دار النشر للكتاب البناني، بيروت، لبنان، 1964.
5. ابن سعيد أبو الحسن علي ابن موسى المغربي، كتابه الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1970م.
6. الأصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1961.
7. أبي الفداء عماد الدين بن سماعيل بن أحمد، تقويم البلدان، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1850.
8. القلقشندي أبو العباس أحمد، صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر، القاهرة، 1963، ج1.
9. القلقشندي أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المطبعة الاميرية، القاهرة، 1915م، ج5.

10. القلقشندي أبو العباس أحمد، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ج1.
11. القلقشندي أبو العباس، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ط2، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، 1982.
12. الجاحظ عمر بن بحر، فخر السودان على البيضان، رسائل الجاحظ، القاهرة، 1906.
13. البكري أبو عبد الله، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، 1958.
14. القزويني محمد ابن زكرياء، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان.
15. الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، ط1، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990.
16. العمري ابن فضل الله، مسالك الابصار في ممالك الامصار، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية، فرانكفورت، 1988.
17. الوزان الحسن، وصف افريقيا، ط2، دار المغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، د. س، ج2.
18. البرتلي محمد بن أبي بكر الصديق، فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، تح: بهيجة الشاذلي، منشورات معهد الراسات الافريقية، الرباط، المغرب، 1996.
19. بللو محمد بن عثمان بن فودي، اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تح: بهيجة الشاذلي، منشورات معهد الدراسات الافريقية، الرباط، المغرب، 1996.

20. شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ج1.

ثانيا: المراجع باللغة العربية:

1. الشيخ الأمين محمد عوض الله، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الاسلاميتين مالي وسنغاي، دار المجمع العلمي، جدة، 1979.
2. الهادي
3. عبد اللطيف حمزة، القلقشندي في كتابه صبح الأعشى عرض وتحليل، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.
4. دندش، دور المرابطين في نشر الاسالم في غرب افريقيا (515/430هـ)1121/1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408م/1988م.
5. دالي الهادي مبروك، تاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا في ما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 الى 18، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1999م.

الرسائل الجامعية:

1. الذنيبات أحمد عبد الرحمان، أبو العباس القلقشندي أديبا، رسالة الماجستير لغة عربية وآدابها، سمير الدروبي، جامعة مؤته، 2001م.

2. بومريق حكيمة، بوراس سهير، أدوات الكتابة من خلال صبح الأعشى للقلقشندي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، القرون الوسطى، عبد السلام همال، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 2017/2016م.
3. وهراني قدور، منهجية الكتابة التاريخية في معالم الخلافة، رسالة دكتوراة، التاريخ والحضارة الإسلامية، وهران، 2014/2013م.
4. شعباني نور دين، علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وآثارها الحضاري بين القرنين الخامس والتاسع الهجريين، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية:2005-2006م.

الفهارس

فهرس الاماكن:

حرف الالف	أ
المودان :	2
المصرية	3:
الاسكندرية :	4
السنغال :	53
النيجر :	53
الطوغو :	54
حرف الباء :- -	ب
يرنو	54
بوركبتفاسو	54
بنين	54
حرف التاء	ت
تشاد	53
حرف الجيم	ج
جنوب شرق الجزائر	59
حرف السين	س
سنغاي	53
سودان	08
سنغال	53
حرف الغين	غ
غامبيا	53
غينيا بيساو	53
يميناكوتاكري	63
حرف الكاف	ك
كوكو	53
ككيا	53
كانم	83
حرف الميم	م
مصر	35
مالي	53
مورتنيا	54
حرف النون	ن
نجيريا	53

فهرس الأعلام

حرف الالف	-ا-
ابو العباس احمد القلقشندي	2
ابن تغري بردي	4
ابوجعفر النحاس	6
المقرزي	8
ابي المعالي فتح الله	40
ابن حوقل	50
البكري	50
حرف الباء	-ب-
ابي الفداء عماد الدين اسماعيل بن احمد	51
بدر الدين بن القاصي	10
حرف العين	-ع-
عثمان بن فودي	-ع-
حرف الميم	53
محمود القيسراني	43
محمد بلو	56

فهرس القبائل والأمم والشعوب

مملكة غانا	64
مملكة مالي	72
مملكة سنغاي	77
مملكة كانم	83

فهرس المحتويات

الاهداءات

شكر وعرفان

مقدمة..... أ

الفصل الأول: سيرة أبي العباس القلقشندي

تمهيد: **1**

المبحث الأول: مولده ونشأته **1**

1 _مولده: **1**

2_ نشأته العلمية **3**

3 ـ مؤلفات القلقشندي: **8**

المبحث الثاني: التعريف بكتاب صبح الأعشى **15**

المبحث الثالث: أسلوب الكاتب والمصادر المعتمدة في الكتاب **23**

1ـ أسلوب الكاتب **23**

2ـ المصادر التي اعتمد عليها القلقشندي. **28**

الخلاصة:..... **31**

الفصل الثاني: التعريف ببلاد السودان

المبحث الأول: التسمية و الموقع **33**

1- السودان الشرقي :..... **36**

2- السودان الاوسط -: **36**

3 - السودان الغربي الاوسط (نيجيريا). :. 36
المبحث الثاني :الدراسة الطبيعية 43
المطلب الأول : التضاريس 43
المطلب الثاني : المجاري المائية 44
المبحث الثالث : أهم المماليك ببلاد السودان..... 46
1 مملكة غانة:..... 46
2- مملكة مالي 53
3 - مملكة السنغاي..... 58
3- مملكة كانم 63
خاتمة: 70
الملاحق..... 72
قائمة المصادر والمراجع: 80

الملخص

تمحورت هذه الدراسة حول أبو العباس أحمد القلقشندي وذلك بالتركيز على دوره في كتابة تاريخ بلاد السودان إذ يعتبر اٱلخير من أشهر المؤرخين العرب الذين عر فتهم الساحة الثقافية والعلمية في القرن الثامن الهجري، يعتبر كتاب صبح الأعشى من أهم المصادر التي تناولت موضوع بلاد السودان من عدة جوانب منها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكذلك تطرق إلى الجانب الطبيعي الجغرافي لبلاد السودان، وما تميزت به كل مملكة عن آخرى .

الكلمات المفتاحية: القلقشندي، بلاد السودان، المماليك، صبح الأعشى، ديوان الإنشاء، الذهب.

Abstract

This study focused on Abu al-Abbas Ahmad al-Qalqashandi, focusing on his role in writing the history of the country of Sudan, as the latter is considered one of the most famous Arab historians who were known by the cultural and scientific arena in the eighth century AH. Including the social, economic and political ones, as well as touching on the natural geographical aspect of the country of Sudan, and what distinguished each kingdom from the other.

Keywords: al-Qalqashandi, Sudan, the Mamluks, Subh al-Asha, Diwan al-Insha, gold.